وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي بالأغواط
كليـة العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الموضوع:

الحياة الاجتماعية والاقتصادية لليهود في تونس خلال القرن 18م

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبتين:

- خيرة مرسلي
- سعدة دجداج

إشراف الأستـاذ:

د/ أحمد سعودي

السنة الجامعية: 2017/2016

شكر وعرفان

بداية نتوجه بالشكر والحمد لله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا انجاز هذا العمل المتواضع ومصداقا لقوله تعالى عزوجل ولئن شكرتم لأزيدنكم فالحمد لله ربنا على ما وهبتنا لنتقدم بشكرنا وامتناننا إلى أستاذنا الفاضل والمحترم أحمد سعودي الذي كان سندا لنا في كل مرحلة من مراحل بحثنا ولم يبخل علينا من وقته ونصائحه وكان لنا نعم الموجه .

كما نشكر كل من أساتذتنا في قسم التاريخ الذين أفادونا في مشورنا الدراسي جزاهم الله خيرا.

لنخلص في الأخير إلى شكر كل من ساعدنا من قريب وبعيد في إتمام هذا العمل المتواضع.

الإهداء

الحمد لله الذي وفقني وأعطاني القوة والقدرة على الاستمرار وهيأ لي سبيل العلم حتى أصل إلى مكانتي هذه وأصلي واسلم على نور الهداية وسراج الدعوة الربانية سيدي وحبيبي خير الخلق نبي الله صلى الله عليه وسلم أما بعد :

أولا:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أغلى إنسانة حفظها الله ورعاها على النبع الصافي من الحب والحنان الدافئ وسر ابتسامتي في الوجود أمي الغالية ذهيبة .

إلى كل من منحني ثقته ووصفها نصب عيني وعلمتني أن الأخلاق تاج كل إنسان في هذا الكون وعلمتني كيف أقدس العلم وغرس في وجداني روح التحدي والصبر عند الشدائد والذي أكن له على الدوام تقديري واحترامي والدي الكريم أحمد .

إلى أساس العنقود الأسرى جدي وجدتيأطال الله في عمرها وأدامها تاجا فوق رؤوسنا .

إلى الذي تحمل من أجلي وعلمتني التسلح بالعلم في هذه الحياة وعلمتني كيف أوجه صعابها ووفق معي وفقه ألف رجل أهدي هذا العمل المتواضع إلى سيدي وتاج راسي والسند المتين لبيتي زوجي الغالي نورالدين.

إلى ركائز بيتنا إخوتيالكرام أخي الأكبر محمد وتوأم روحي حبيبتي سماء إلى اللؤلؤة الغالية حميدة وإلى فاطنة وأمنة وخيرة .

إلى كلنقطة حنان بحر الحياة والحب الذي ألفته منذ الصغر نور الهدى وفاطمة وخديجة والهاشمية .

إلى كل خالاتي وأخوالي وعماتي وأعمامي وأبنائهم صغيرا وكبيرا .

وإلى كل الأقارب والأهل.

إلى من تقاسمت معي تعب هذا العمل خيرة مرسلي.

إلىكل الأصدقاء الذين جمعتني بهم مخلة الإخوة وتاج المحبة.

إلى كل من صادفتني بهم الحياة وركباو معي الغمار.

إلى كلالذين سقطوا شهداء على درب الثورة من أجل تحرير الجزائر .

سعدة

إهداء

أهدي إليك شيئا من جزيل عطاءك، يا رافع السموات فاجعله خالصا لوجهك الكريم ، واكتبه لي في ميزان حسناتي يا أجود الأجودين ، ويا أكرم الأكرمين .

اهدي ثمرة جهدي وعملي إلى.

من افتقدته في مواجهة الصعاب إلى الذي فوقه التراب ولم أرتوي من حنانه.... إلى روح أبي الطاهرة رحمة الله عليه وجعل مثواه الجنة .

إلى أمي الغالية حفظها الله من كل سوء وأمدها بالصحة والعافية.

إلى من رافقتني في مشوار الحياة إلى التي يخفق قلبي لذكرها إلى التي أسدت لي بنصائحها وكانت صداقتها بصيص أمل حرك روحي عند الفتور إلى توأم روحي " أختي أسماء " أدعو الله أن يجازيها عني خير جزاء على ما بذلته من أجلي من جهد ووقت وخدمات أعجز عن الوفاء بها .

خيرة

قائمة المختصرات

الرموز	معناها
ص	صفحة
ص-ص	صفحات متتالية
ج	الجزء
ط	الطبعة
ق	القرن
هـ	الهجري
م	الميلادي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعريب
د.م.ن	دون مؤسسة نشر
د.ت.ن	دون تاريخ نشر
د.ب.ن	دون مكان نشر

مقدمـــــة

مقدمة

شهدت تونس في ظل الحكم العثماني 1574-1881 تحولات عميقة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذا كانت أغلب الدراسات والأبحاث، قد تناولت جوانب عديدة من هذه الفترة الزاخرة بالأحداث فإنها لا تكاد تغطيها جميعا، خاصة ما تعلق بدراسة أوضاع الأقليات العرقية والدينية من ذلك وضع أو دور اليهود بمدينة تونس.

وتسعى هذه الدراسة إلى التعرف على أوضاع الطائفة اليهودية بمجتمع مدينة تونس وذلك من خلال فترة الحكم العثماني في تونس وهي فترة حاسمة من تاريخ تونس.

لقد عاشت عناصر يهودية مختلفة بتونس، حيث استقر البعض بها منذ العهد الفينيقي وخضعوا لمختلف الدول التي تداولت عليها من الفنيقين ورومان ووندال والبيزنطيين، ليرتفع عددهم إثر سقوط غرناطة وصدور وقرار الطرد من اسبانيا في 1492 م هذا ما جعل تونس من بين المراكز الهامة لإستقرار اللاجئين اليهود من الأندلس على غرار المسلمين .

ونظرا للمكانة الاقتصادية والسياسية التي أصبحت عليها المدينة ظل الحكم العثماني، وحالة الانتعاش الاقتصادي الناتجة عن انتشار الأمن استقبلت عناصر جديدة من اليهود الأوربيين من مختلف الأرضي الأوربية كفرنسا وصقلية والبرتغال ومن المدن الإيطالية وقد برزت بصفة خاصة العناصر الوافدة من مدينة ليفورنه، والتي تميزت عن البقية بنفوذها المادي الكبير الناتج عن اشتغالها بتجارة الغنائم البحرية وافتداء الأسرى .

ولقد لعب اليهود أدوار هامة في الاقتصاد ومشاركتهم في الحياة الاجتماعية .

ومما لاشك فيه أن البحث في وضعية اليهود أثناء مرحلة حاسمة من تاريخ تونس يثير الكثير من الفضول ويطرح جملة من التساؤلات نظرا للخصوصية الدينية العرقية لهذه الطائفة من جهة وانطلاقا من الدور الحساس الذي لعبه اليهود فيتاريخ تونس من جهة ثانية .

دوافع اختيار الموضوع:

إن أهمية الأحداث التي شهدتها تونس خلال الفترة الحديثة وما أحدثته من تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية حيثحظيت هذه الفترة بالعديد من الدراسات إلا أنها لاتكاد تغطيها لاسيما فيما يتعلق بدراسة الأقليات العرقية والدينية لاسيما الأقلية اليهودية والتي جعلتنا

نصب جميع إهتماماتنا على حيثيات هذه الطائفة وهذا ما دفعنا إلى التوجه نحو هذا الميدان الإقتصادي والإجتماعي لليهود في تونس محاولين بذلك إعطاء صورة ولو صغيرة عن الدور الإقتصادي والإجتماعي الذي لعبه اليهود في تونس خلال العهد العثماني ، دون أن نغظ البصر على الجانب الثاني الذي أثر على تونس ألا وهو الجانب السلبي الذي أثاره اليهود من خلال ما وصلوا إليه من نفوذ.

فرأينا أن يكون عنوان مذكرانا كالأتي :

الدور الإقتصادي والإجتماعي لليهود بتونس العثمانية.

الهدف من الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوءعلى الأقلية أو الطائفة اليهودية والتي كانت لها الدور في ترك البصمة في تاريخ تونس سواءا إيجابيا أو سلبيا .

الإطار الزماني والمكاني للدراسة :

بالنسبة للإطار الزمني لهذه الدراسة فوقع اختيارنا على الفترة الحديثة وذلك من القرن 15م إلى 19م إلاإننا رجعنا إلى الفترة التي سبقت تواجدهم في الفترة الحديثة بتونس بتواجدهم خلال لمحة مبسطة عن تواجدهم ليتمكن القارئ من فهم تواجد اليهود قبل القترة الحديثة .

واخترنا تونس والتي حظيت بنصيب وافر من الأدوار الإقتصادية والإجتماعية من طرف اليهود.

إشكاليةالدراسة:

بعد أن تبلورت لنا فكرة البحث بدأنا في صياغة الموضوع وفق المادة التي قمنا بتجميعها وقد حملنا هذا على طرح جملة من التساؤلات تمثل في :

- تعد تونس من بين المراكز المغاربية التي إستقطبت الأقليات اليهودية وعليه فمتى كان توافد اليهود على تونس وكيف كان توزيع وتركيب المجتمع اليهودي بتونس ؟
- كيف كان الواقع الاجتماعي لليهود في تونس؟
- لقد قام اليهود بنشاط تجاري بتونس ومساهمة كبيرة ففيما تمثلت مساهمتهم في التجارة البحرية ؟ وكيف كان انخراطهم في نظام الإلتزام؟ وما هي أهم اللزم التي أشرفوا عليها ؟
- فإلى أي مدى ساهم اليهود في تنشيط الواقع الإقتصادي بتونس؟

- استطاع اليهود الوصول إلى درجة عالية من النفوذ وهذا ما أثر سلبا على المجتمع التونسي في مختلف القطاعات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية فما هي هذه الآثار السلبية ؟

- هل عرفت تونس أزمات في ظل التواجد اليهودي و ما هي مظاهرها؟

المنهج المتبع في الدراسة:

لقد اتبعنا في دراستنا هذه المنهج التاريخي الوصفي باعتباره منهجا صالحا لتتبع الوقائع والأحداث التاريخية .

وذلك للوصول إلى النتائج المرجوة، وللإجابة عن التساؤلات التي طرحت في فصول هذه الدراسة.

الخطة المعتمدة:

اعتمدنا في دراستنا على خطة اشتملت على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل التمهيدي وهو بعنوان : نبذة تاريخية عن اليهود في تونس وقد قسمنا هذا الفصل إلى عنوانين العنوان الأول هجرة اليهود إلى البلاد المغاربية والعنوان الثاني هو هجرة اليهود إلى تونس.

أما الفصل الأول : فهو بعنوان :الدور الاجتماعي لليهود في تونس العثمانية حيث قسمنا هذا الفصل إلى ثلاث مباحث المبحث الأول عنوانه أهم الفئات اليهودية في تونس، أما المبحث الثاني فعنوانه ديموغرافية المجتمع اليهودي بتونس، وهو مقسم إلى عنوانين العنوان الأول فهو توزيع الجغرافي للمجتمع اليهودي بتونس أما العنوان الثاني يتمثل في الإطار السكني لليهود في تونس.

أما المبحث الثالث فهو بعنوان العادات والتقاليد اليهودية بتونس يشتمل عنوانين العنوان الأول هو اللباس الذي يميز اليهود عن المسلمين أو بصيغه أخرى لباس اليهود في البلاد الإسلامية في اطار ما يعرف بأهل الذمة وكان العنوان الثاني حولنظام الأسرة اليهودية بتونس والتي لا تختلف عن أي نظام أسرة لأي طائفة كانت والتي تتمحور في الزواج، الأولاد، تعدد الزوجات الطلاق إلا أن ذلك وفق تشريعاتهم ومعتقداتهم الدينية .

أما الفصل الثالث : فهو بعنوان الدور الاقتصادي لليهود في تونس والذي قسمناها إلى أربعة مباحث تناولنا في أول مبحث مساهمة اليهود في التجارة البحرية والذي عرجنا فيه على فدية أسرى القرصنة ومساهمتهم في قطاع التصدير وفي بضائع التوريد أما المبحث

الثاني فكان بعنوان اليهود و نظام الالتزام بإيالة تونس تطرقنا فيه إلى عنوانين هما مفهوم نظام الالتزام وانخراط اليهود في نظام الالتزام.

والمبحث الثالث فهو بعنوان لزم التجار اليهود ويشمل لزمة دار الجلد، ولزمة الأنشطة الحرفية والتجارية والمالية ,أما المبحث الرابع تكلمنا فيه عن الآثار السلبية لليهود في تونس العثمانية.

أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها:

إن أهمية هذه الفترة في تاريخ الطائفة أو الجالية اليهودية في البلاد المغاربية جعلت الباحثين يهتمون بكل تفاصيل أحداثها سواء المؤرخين الأقدمين منهم والمحدثين فألفوا فيها كتبا من عدة جوانب وحظيت تونس بنصيب وافر من هذه التأليف.

ولعل أبرز الدراسات التي تناولت موضوع بحثنا كانت للدكتور رضا بن رجب في كتابه بعنوان يهود البلاط و يهود المال في تونس العثمانية كما لا يفوتني الإشارة إلى مصدر مهم جدا ألا وهو كتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي الضياف حيث استفدنا كثيرا من جل أجزائه تقريبا ج2–ج7، ج8،ج4 حيث وفرت لنا هذه المؤلفات مادة تاريخية ساعدتنا في انجاز دراسة جيدة التوثيق.

أما الصعوبات التي واجهتنا:

لا يخلوا أي بحث علمي من الصعوبات التي تشكل للباحث عقبة سرعان ما تصبح في طي النسيان بعدما يكتمل عمله ولعل ابرز هذه الصعوبات التي وقفنا عندها، قلة المصادر والمراجع خاصة في المجال الاقتصادي وضيق الوقت، ولم نجد الدراسات السابقة لهذا الموضوع.

أخيرا وليس أخيرا فإن أصبنا في عملنا هذا فبتوفيق من الله، وإن كان غير ذلك فحسبنا أننا حاولنا دون كلل وملل، طامعين في أن نستفيد من توجهات لجنة المناقشة.

ولله ولي التوفيق.

الفصل التمهيدي

نبذة تاريخية عن اليهود في تونس العثمانية

الفصل التمهيدي: نبذة تاريخية عن اليهود في تونس العثمانية

المبحث الأول: هجرة اليهود إلى بلاد المغاربة

إن اليهود* لم يكن لهم وطن يرتبطون به إنما نزجوا إلى أوطان متعددة ومنها الشمال الإفريقي وتنوعت المناطق التي اختارها اليهود لسكانهم حسب تنوع أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية وإمكانياتهم المادية، ثم انتشر اليهود في البلاد المغاربية[1]، على أحقاب فترات زمنية متتالية وذلك بتواجدهم في الفترة القديمة والفترة الوسيطة و الفترة الحديثة.

لم يتفق المؤرخون حول تاريخ هجرة اليهود إلى البلاد المغاربية لكنهم يؤكدون على أن تواجدهم قديم[2] فالهجرات اليهودية إلى بلاد المغرب قد وصلت مع الفينيقين[3]، حسب بعضهم قد بدأت بمزاولة التجارة مع المستعمرات الفينيقية في سواحل شمال إفريقيا منذ الألف الثانية قبل الميلاد، وإنتهى بقدوم موجات يهودية أخذت لنفسها موطن إستقرار على

---

*- اليهود: أطلق على اليهود لفظ عابير و حابير وهابير وعابورا و العبرانيون أو العبريون، مما يفيد العبور والارتحال وعدم الاستقرار.أنظر: كامل لعفان، **اليهود تاريخ وعقيدة**، دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت.ن)، ص8.

كذلك أنظر: محمد الوكيل، **تاريخ اليهود**، ج1، دار النهضة العربية، القاهرة،2008، ص9-10

كذلك أطلق في العادة على اليهود إسمان: الأول "بني إسرائيل" وهم الذين ينتسبون إلى نبي الله يعقوب عليه السلام، فهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة فترة من الزمن، ثم انتزعها منهم وأحل عليهم غضبه ولعنته جزاء كفرهم ومحاربتهم لله ورسوله، ثم الاسم الثاني "اليهود"، فهو الإسم الذي عرفوا به فيما بعد والذي انتشر بين الأمم، كما نجدهم يسمون بالعبرانيين، حول الموضوع أنظر أيضا:

- نعمان ناجي، **المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي**، دار النعمان للثقافة، بيروت، 1990، ص476.

- محمد ضياء الرحمان الأعظمي، دراسات في اليهود والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، الرياض، 2001، ص185.

- صلاح عبد الفتاح الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، شركة الشهاب، الجزائر، 1987، ص19

[1]- عبد الرحمان بشير: **اليهود في المغرب العربي**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، (د.ب.ن)، 2001، ص31.

[2]- قومي محمد، **دور الطائفة اليهودية بالتوات خلال القرنين، 9هـ/10هـ، 15م/16م**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014/2013، ص16

[3]- أسامة الدسوقي بركات، **اليهود في ليبيا ودورهم من 1911 حتى 1951**، مكتبة الاسكندرية، (د.ب.ن) 2000م، ص22.

سواحل إفريقيا الشمالية وبعضها فضل الداخل بل وحتى الصحراء متخذين في ذلك طرق مختلفة ومسالك شتى[1].

وأثناء العصر الروماني كانت الهجرة في القرن الأول ميلادي كان عمادها المهاجرين الذين فروا من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم وإنتشروا في المغرب ولقد إزداد التواجد اليهودي بالمغرب عندما فر يهود المدن الخمس، وقرر هؤلاء الثورة على الرومان تضامنا مع زملائهم يهود فلسطين، وكذلك عندما قام الامبراطور "جابوس" بتخريب أورشليم ففر اليهود إلى جوف الصحراء الليبية ومنها إنتشروا في بلاد المغرب وإستوطنوا المدن الكبرى[2].

كما إزدادت الهجرة اليهودية إلى بلاد المغرب مع ظهور الإسلام وإستمرت على شمال إفريقيا رقم سقوط فينيقيا وإنقسام العالم القديم إلى قسمين إسلامي ومسيحي، وكان للإضطهاد الكاثوليكي لليهود في العالم الغربي خصوصا عندما عومل اليهود كمواطنين من الدرجة الثانية، إلى جانب ما قام به ملك القوط "فلافيوس سيزاوبوت" ومن جاء بعده في ق7 من عام 612 حتى عام 660 م.

ضد اليهود بإسبانيا إذ أخذهم قتلا وتشريدا، وحملهم على الهجرة إلى البلاد المغربية مما كان له أكبر الأثر في حمل اليهود على الهجرة إلى بلد يجدون فيه المعاملة الحسنة، فكان تقاطر أفواج أخرى من اليهود الأندلس بعد فتحها ولم تكن هذه الوفود المتعاقبة من الهجرات اليهودية إلى بلاد المغرب من أصل واحد وإنما من سلالات مختلفة.[3]

وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر أعداد كبيرة من يهود إسبانيا والبرتغال إلى شمال إفريقيا في العهد العثماني، عرفوا بالسفاريدم و نعموا بالرعاية وحسن المعاملة وسرعان ما تقلدوا زعامة التجمعات اليهودية وتسلموا قيادتها الدينية والاقتصادية وتمركز العديد منهم في مراكش في حسن أن عددا أقل استوطن المدن الساحلية الجزائرية[4].

---

[1]– قومي محمد، المرجع السابق، ص16

[2]– عطا الله على شحاته رية، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى**، ط1، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، 1999، ص ص 26–29.

[3]– نفسه، ص ص 30–31.

[4]– خيرية قاسمية، **يهودالبلاد العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، (د.ت)، ص 275.

ومن هنا يتضح لنا أن الهجرات اليهودية إلى شمال إفريقيا أتت من مختلف جهاته برا وبحرا، مدفوعة بضغط الحوادث التي وقعت لهم خاصة في الشرق الأدنى وأوروبا.

لم يعرف اليهود منذ القديم كيان سياسي يستقرون فيه ويلم شملهم كونهم عاشوا في عصور غلب عليها من الناحية السياسية النظام الإمبراطوري كنظام سياسي للدولة وفيه إنتشرت الوثنية البعيدة عن التجريد والتوحيد الذين دعت إليها الديانة اليهودية فقلة هم من إعتنق دينهم بالإضافة إلى جنسهم من بني جلدتهم فأصبحوا بذلك هدفا لأصحاب السلطات، مما أدى إلى تفرقهم وفرارهم إلى المناطق البعيدة من أعين السلاطين، فوجدوا في شمال إفريقيا مبتغاهم وفي القبائل البربرية المعادية للسلطة الرومانية الحماية في منطقة جغرافية متنوعة التضاريس شكلت لهم درعا وحصنا آمنا وواقيا من الملاحقات الرومانية[1].

فمن أسباب إستقرار اليهود في شمال إفريقيا* وفي الخصوص البلاد المغاربية نذكر من بينها الأسباب التالية:

– الدينية: نشر الديانة اليهودية وضرورة إتساع هذا الدين لغير اليهود من شعوب العالم الذين إستمالوا إلى دينهم عدد من الأمم الأخرى وتضاعفت عددهم بسرعة، ونتيجة لوجود بعض القبائل البربرية تعبد الشمس والقمر والنجوم مثل اليهود.

أما من الناحية الاقتصادية: فنجد اليهود ركزوا إهتمامهم على النشاطات الإقتصادية خاصة التجارية منها.

أما من الناحية الإجتماعية: فالبربري كان لا يحتمل الخضوع لأي سلطات ثائرا ضد الظلم، يعيش في مجتمع قبلي يخضع لزعيم القبيلة هذا ما دفع اليهود إلى البحث عن نقاط مشتركة معه إجتماعيا.

فأظهر اليهود بأنهم والبربر من نسل واحد خاصة وأنهم يجعلون الأمم كلها من نسل آدم ثم إبراهيم عليه السلام[2].

---

[1]– قومي محمد، المرجع السابق، ص19.

* شمال إفريقيا: يشتمل شمال إفريقيا في التعبير الجغرافي المنطقة الممتدة من قناة السويس شرقا إلى جبال الأطلس المشرقة على المحيط غربا وتضم خمس مدن هي " تونس، مصر، ليبيا، الجزائر، مراكش" حول هذا أنظر:
أمين شاكر وآخرون، **شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر**، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص11.

[2]– قومي محمد، المرجع السابق، ص19.

بإعتبار البربر وإحدى القبائل العرب تكون بذلك القرابة معه من ناحية أبنائهم وكان هذا التزييف محاولة لكسب تعاطف البربر في مواجهة الإضطهاد الذي تعرضوا له من الرومان وغيرهم لذا وجدوا في مصاهرتهم وخاصة إعطاهم فرصة كبيرة لزيادة أعدادهم فتزاوجوا فيما بينهم ودخلو في علاقات مع بعضهم البعض[1].

بعدما تطرقنا إلى نبذة تاريخية حول هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا أو إلى البلاد المغاربية سوف نتطرق إلى تفصيل هجرتهم إلى المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى.

حيث تبدأ بلاد المغرب من إقليم برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، والمغرب العربي مقسم إلى وحدات وهي المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى[2].

ففي المغرب الأدنى كانت أول البلاد المغاربية التي إستقبلت هجرة اليهود من المشرق إلى المغرب، حيث أن التقسيم الجغرافي لبلاد المغرب جعل من المغرب الأدنى في مقدمة إستقبال كل ما هو آت من المشرق لقربه منه مقارنة بالمغربين الأوسط والأقصى ومن بين المدن التي عاش بها اليهود بالمغرب الأدنى هي مدينة "برقة"، ذات الأهمية التجارية قبل الفتح الإسلامي[3]، كما عرفت المنطقة الممتدة من برقة شمالا إلى "زويلة" المتاخمة لحدود بلاد السودان جنوبا موطن الذهب والرقيق إنتشارا واسعا لليهود حيث إستقروا في المدن والقرى ذات الأهمية الإقتصادية عامة والتجارية خاصة لهذا السبب إستوطنوا زرويلة وامتد نشاط اليهود وإستقرارهم إلى مدن عديدة ذات موقع متميزة مثل: "غدامس وقابس"[4].

أما هجرة اليهود إلى المغرب الأوسط فيرجع المؤرخون إلى تواجد اليهود منذ القديم ابتداءا من العهد الفينيقي في شمال إفريقيا أي قبل أكثر من 3000 سنة قبل الميلاد حيث

---

[1]– قومي محمد، المرجع السابق، ص 21.

[2]– محفوظ سعيداني، **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني (مقاربة تحليلية)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2012/2011، ص19، أنظر أيضا: صلاح العقاد، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب، الأقصى**، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية، د.ب.ن، 1993، ص9

[3]– عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص 34.

[4]– قومي محمد، المرجع السابق، ص24.

أقام الفينيقيون مراكز تجارية على طول الشريط الساحلي وذلك لميلهم للأنشطة التجارية، لكن بعد الفتح الإسلامي وحسب ما نقلته كتب المؤرخون والجغرافيين فإن تواجدهم بالمغرب الأوسط شمل العديد من مدنه في الشمال والجنوب خاصة التجارية منها فإستقروا في مدينة بجاية قاعدة المغرب الأوسط ومدينة تنس الواقعة على مقربة من البحر المتوسط[1].

أما تواجد اليهود بالمغرب الأقصى يختلف عن حديثنا عنهم في المغربين الأدنى والأوسط، لأن التواجد اليهودي في المغرب الأقصى تميز بعدة مميزات منها أن اليهود كانوا بأعداد كبيرة وأن تواجدهم لم يقتصر على المدن والحواضر الكبرى للمغرب الأقصى فقط بل عاش أكثرهم متمركزين في الأقاليم الجنوبية في القرى وعلى قمم الجبال، ولقد عاش اليهود في مدينة سبتة من قواعد بلاد المغرب و فاس المدينة العظيمة[2].

و في الأخير نجد أن الهجرات اليهودية المتتالية إلى بلاد المغرب خلقت مجتمعات يهودية عاشت فترات إزدهار مما أسفر عن زيادة إقبال المهاجرين إلى العديد من المدن مثل تونس و هذا ما سوف نتطرق له في المبحث الموالي.

[1]– قومي محمد، المرجع السابق، ص ص 28–29.

[2]– محمد قومي، المرجع السابق، ، ص 20،وأنظر: عطا الله على شحاته ريه، المرجع السابق، ص20.

المبحث الثاني: هجرة اليهود إلى تونس:

لا يسمح الإطار الزماني المحدد لدراستنا بالتطرق إلى الجذور التاريخية البعيدة لليهود بالبلاد التونسية، أو البحث في تاريخ يهود(الشتات-diaspora)[1]، وهجراتهم المتعاقبة وإستيطان بعضهم شمال إفريقيا، فهذا البحث يتجاوزنا ونفضل تركه لأصحاب الإختصاص للبحث فيه، لكن ما يمكن تضمينه أن التواجد اليهودي بالبلاد التونسية يعود إلى أحقاب بعيدة زمنيا[2]، فمن أين يبدأ تاريخ يهود تونس؟

عاش اليهود في تونس كجزء من تاريخها الطويل مثل بقية العناصر المختلفة التي مرت وعاشت في المنطقة، بعضهم قدم مع فينيقي قرطاجة أو رحل عن القدس في عهد تيتوس في القرن الأول الميلادي أو لجأ من إسبانيا و البرتغال إثر الإضطهاد الديني والإجلاء بالقوة من شبه الجزيرة الإيبيرية أواخر القرن الخامس عشر، وبعضم للتجارة من لوفرونو في إيطاليا وكثير من اليهود لجؤوا إلى تونس هربا من الاضطهاد الذي يلاقونه في أوروبا[3].

فالجالية اليهودية لم يبدأ إستقرارها في تونس على خلاف ما يعتقده البعض بحلول الاستعمار الفرنسي أواخر قرن التاسع عشر، وإنما إستوطنت في تونس منذ قرون عديدة تعود قصة وجود اليهود في تونس إلى ق السادس قبل الميلاد، وفقا لكتب يهودية وعربية، ووفقا لكبير حاخامات فرنسا التونسي الأصل جوزيف سيتروك تعد قصة الوجود اليهودي في تونس من أعرق العلامات في تاريخ الطائفة، حيث أنهم إتخذوا ملجأ لهم مباشرة[4].

فمن أقدم العصور نزل اليهود إلى جربة على إثر غزو ملك بابل أرض فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد[5]، بعد أن قام نبوخذ نصر ملك بابل، بتدمير الهيكل الأول عام 582

---

[1]- عبد الرحمان، بن خلدون، **المقدمة**، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، استعمل مصطلح يهود الشتات، أنظر: ص ص 27-38.

[2]- رضا بن رجب، **يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية**، 1685-1857، تق: عبد الرحمان الأرقش، ط1، دار المدار الاسلامي، ليبيا، 2010، ص31

[3]- خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص295.

[4]- سام برنر، **لا يدرسونه لنا في بلاد العرب اليهود في العرب عالم تم محوه وصفحات أزيلت من كتب التاريخ**، ج4، م1، (د.ب.ن)، (د.ت)، ص25.انظر الملحق رقم [1] ص 65.

[5]- عبد الرحمن بشير، المرجع السابق، ص14.

قبل الميلاد، ومن جهته يقول زعيم الطائفة في جربة "شلومر الطرابلسي" إن أعداد كبيرة من اليهود هاجروا حاملين معهم حجرا من هيكل سليمان ومن ثم قاموا ببناء معبدهم.

وجود اليهود في تونس في فترة ظهور المسيحية أثبته إكتشاف القائد الفرنسي برودوم للنصب اليهودي في مسكنه في حمامه ليف عام 1883 م وبعد سقوط أورشليم على يد الرومان رحل الامبراطور تيتوس عددا عظيما من اليهود إلى موريتانيا، وإستقر عدد كبير منهم في تونس، وإزداد عدد اليهود التوانسة في ظل سيادة الرومان والوندال، وبعد أن قام بيليساريوس في 534 بالقضاء على الحكام الوندال أصدر جوستينيان الأول مرسومه الخاص باضطهاد اليهود إسوة مع الأريين وعابدي الأوثان.

وفي القرن السابع، زاد عدد السكان اليهود بشكل كبير بسبب المهاجرين الإسبان الذين هربوا إلى موريتانيا من اضطهاد الملك سيسيون، وإستقروا في المدن البيزنطية يقول المؤرخون العرب لأن هؤلاء المستوطنين قد إختلطوا بالسكان البربر وهودوا العديد من القبائل الكبيرة التي داومت على الإعتقاد باليهودية حتى عهد مؤسس سلالة الإدريسيين، ويحكي القيرواني بأن ذلك حاكم بنرزت عند غزوها على يد حسان بن النعمان في 698 كانت يهوديا عندما وقعت تونس تحت سيادة العرب، أو الخلافة العربية لبغداد، تدفق اليهود العرب إلى تونس مجددا.

عندما أعلن الإمام إدريس إستقلال موريتانيا في 788 عن خلافة بغداد التحق اليهود التونسيون بجيشه بزعامة رئيسهم، بنيامين بنبوشافط بن أليعازر[1]، ولكنهم سرعان ما إنسحبوا لسببين أولهما: لكرههم محاربة إخوتهم في الدين في أنحاء موريتانيا الأخرى التي بقيت مخلصة لخلافة بغداد، وثانيا: بسبب بعض الأفعال المخلة بالشرف التي إرتكبهاإدريس ضد اليهوديات.

إنتقم إدريس المنتصر لهذا الإرتداد بمهاجمة اليهود في مدنهم بعد مقاومة فاشلة جاء السلام طبقا للشروط التي منها مطالبة اليهود بالجزية وتزويد الجالية بعدد معين من العذارى بنويا لحريم إدريس، وفضلت قبيلة عبيد الله اليهودية الهجرة إلى الشرق بدلا من الإذعان لإدريس، وتقول التقاليد أن اليهود جربة هم سلالة تلك القبيلة، عام 788 سمم هارون الرشيد الإمام إدريس ويقال من قبل طبيب الحاكم شاما، الذي يحتمل أنه كان يهوديا

[1]– سام برنر، المرجع السابق، ص25.

وتأسست سلالة حوالي 800 سلالة الأغالبة ودامت حتى عام 909 وكانت حالة اليهود في تونس حسنة جدا، عاد الحكم في بنزرت إلى اليهود، وامتد التأثير السياسي لليهود في إدارة البلاد، وعلى الأخص الجالية* في قيروان التي أبليت حسنا.

إستمرت ظروف اليهود في الإنحطاط تارة كما حدث في عهد المعز إضطهدهما لنصارى، وخاصة القيروانيين منهم الذين هاجروا أفواجا إلى مدينة تونس* كما كان لوصول سلالة الموحدين إلى عرش المقاطعات المغربية في 1146 أثر فادح على يهود تونس فقد إدعى ملكهم عبد المؤمن تمشيا مع إعتقاد خرافي لا أساس له من الصحة في التقاليد الإسلامية بأنه إذا لم يأتي المسيح المنتظر بعد تلك الفترة عليهم إعتناق الإسلام أو ترك البلاد، وإتبع ورثة المؤمن نفس المنهج، فتسببت إجراءاتهم الصارمة في هجرة أو في الأسلمة بالقوة، وسرعان ما إرتاب الموحدون من إخلاص المتأسلمين الجدد[1].

[1]– سام برنر، المرجع السابق، ص26.

* الجالية: جلا القوم عن أوطانهم وأجلوا، إطا أخرجوا من بلد إلى بلد وتفيد الطرد والنفي ويقال أجلاهم السلطان فأجلوا أي أخرجهم فخرجوا، والجلاء الخروج عن البلاد... وقيل لأهل الذمة الجالية لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلاهم عن جزيرة العرب لما تقجم عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 14، الرقم 8909، ص149.

* مدينة تونس: تقع تونس في أقصى شمال القارة الإفريقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عن مضيق صقلية بـــ 140 كلم، يحدها من الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط بطول حدود 1050 كم، وتبلغ مساحتها 163600 كلم^2 ويبلغ طول شواطئها نحو 120 كلم، أنظر: محمد محمود الطعامنة، سمير محمد عبد الوهاب، **الحكم المحلي في الوطن العربي واتجاهات التطوير**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2005، ص 277.

الفصل الأول

الدور الاجتماعي لليهود في تونس العثمانية

المبحث الأول: أهم الفئات اليهودية بتونس العثمانية

لقد كان اليهود في إيالة تونس متشكلون من فئات انقسمت حسب المنبت القطري الأصلي لكل منهم[1]

1/ يهود ليفرونو:

هم مزيج من أصل إيبيري أو إيطالي[2] قدموا من مدينة ليفرونو منطقة توسكانيا[3] في إيطاليا واستقروا بتونس لأسباب اقتصادية إذ يمكن أن نجزم أن اليهود الذين حطوا رحالهم بإيالة تونس قد قدموا من ليفورنو، ولم يكن لهم من مقصد غير استثمار أموالهم عبر قنوات التجارة البحرية، والبحث عن فرص تجارية رابحة لتنمية أموالهم وقد اتخذ[4]حضور البعض منهم بموانئ الإيالة شكل استقرار نهائي، مهد لإرسائه مناخ التسامح الذي أشادت به مصادر العصر.

وما عرف عن اليهود عموما من خبرة في الميدان المالي لتنشيط القطاع التجاري لبلدان الوافدين عليها، ومن جانب ثان تواجد نظراء لهم من اليهود ذوي الانحدارات الإيبيرية قادتهم ظروف الهجرة القسرية إلى اتخاذ البلاد التونسية مستقرا لهم مثلهم مثل الموريسكيين، بعد ان استأصلتهم محاكم التفتيش الإسبانية والبرتغالية من سائر فضاءاتها ويعود ظهور التجار المنحدرين من ليفرونو في قطاع التجارة البحرية للإيالة التونسية إلى السنوات الأولى من ق17، وقد مثلت سنة 1615م بداية بروزهم كتجار كبار متمتعين بوزن مالي هام كما تعتبر هذه السنة بداية لانطلاق نشاطهم الفعلي والرسمي، ذلك أن شحنات البضائع التي شاركوا في تصديرها وتوريدها توحي لنا ببداية تأقلمهم مع الفضاء التجاري للإيالة[5].

---

[1]– خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص 295.

[2]– لوسيت فالنسي، المغرب **العربي قبل سقوط مدينة الجزائر، 1830/1790ـــ** تر: إلياس مرقص، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1980، ص37.

[3]– كمال بن صحراوي، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، معكسر، 2008/2007، ص 24.

[4]– رضا رجب، المرجع السابق، ص ص 49–50.

[5]– نفسه، ص ص 50–52.

2/ يهود القرنة:

ينحدر يهود القرنة من بلد أوروبي[1]، وهم ذوي الأصول اللاتينية البرتغالية والإيطالية، وقد حلوا بتونس في ق16، بعد أن طردوا من أوروبا مع المسلمين[2]، وقد بلغ عدد يهود القرنة نحو عشرة آلاف وذلك في بداية ق العشرين وينتسب سليلهؤلاء المهاجرين إلى مدينة القرنة الإيطالية انعكس ذلك على ألقاب العائلات اليهودية من هذه الطائفة[3] ولقد اختار يهود القرنة إقامة لهم ما يشبه الغيتو حيث منعوا التزاوج مع الطوائف الأخرى بما فيها يهود تونس[4] غير ان التجار القرنيين استطاعوا الاندماج داخل مجتمع الأغلبية قد خولتهم إلى تثبيت أقدامهم بموانئ الإيالة وبقطاع تجارتها البحرية، ومكنتهم من إرساء نشاطها عبر محور تونس ليفورنو، والمشاركة بحيوية في تنشيط طرق تجارية أخرى، لكن أفراد هذه الطائفة الجديدة بالرغم من تأقلمهم مع المحيط العام للبلاد، فإن مرجعيتهم الثقافية بقيت إلى أوروبا وتمسكوا بهذا التمايز لتواصلهم مع بعض الفئات التجارية التي تنتمي إلى نفس الفضاء الجغرافي[5]

3/ يهود تونس:

هم الذين ينتسبون إلى سلالة سكنت البلاد منذ عهود موغلة في القدم كيهود جزيرة جربة أو جاءتها حديثا من بلد إسلامي آخر غير تونسفي القرن الثامن عشر، انفصل اليهود الذين من أصل أوروبي عن اليهود المحليين التوانسة، ولقد لقي اليهود التونسيين بصفة عامة معاملة طيبة[6] في ظل راية الإسلام[7] كما كانت غالبية اليهود تصطنع لغة أهل أهل البلاد وتقاليدها[8].

---

[1]– خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص295.

[2]– سام برنر، ، المرجع السابق ص 27.

[3]– خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص 295.

[4]– سام برنر، المرجع السابق ، ص 28

[5]– رضا رجب، المرجع السابق، ص63–64.

[6]– أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرة في العصر العثمان**ي، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1991، ص86.

[7]– محمد بن خوجة، **صفحات من تاريخ تونس**، تح ناجي الساحلي الجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص226.

[8]– صلاح العقاد، المرجع السابق، ص16.

المبحث الثاني: ديمغورافية المجتمع اليهودي بتونس

❖ **التوزيع الجغرافي للمجتمع اليهودي:**

لئن كانت المعلومات التي استقيناها من كتب الرحالة الأجانب، لم تفك إشكال الحجم العددي لليهود فإنه على مستوى إنتشارهم بداخل البلاد، سجلت هذه المدونات أغلب المناطق التي استوطنوها خلال الفترة الحديثة.

تحصي هذه البيانات حوالي عشرين منطقة استقر بها اليهود خلال القرن التاسع عشر، وهذا لا يعني أنهم لم يتواجدوا بها قبل هذه الفترة، فأغلب المناطق هي أماكن تجمعهم القديمة اعتمرت بهم إلى جانب السكان المسلمين، وقد ظلت الحاضرة تحتل مكان الصدارة في استيعاب أكثر أعداد المجتمع اليهودي وإيوائه، بما أنها احتوت على أكبر تجمع سكني لهم.

ولا يحتاج استقرارهم بها إلى تفسير أو تأويل، فهي قطب جذب باعتبارها مركز السلطة وعاصمة البلاد وبإمكان فضاءاتها التجارية خاصة أن توفر أسباب الرخاء والازدهار الاقتصادي، فتعدد الأسواق بالعاصمة وتنوعها من جهة وانفتاحها على البحر عبر مينائي حلق الوادي والبحيرة من جهة أخرى، ساهما في خلق ظروف ملائمة لنمو المجتمع اليهود، وازدهار أنشطته الحرفية والتجارية وفي خطا الفضاء الحضري الذي تعددت فيه الأجناس وتنوعت به الأعراق اكتسبت نخبة من المجتمع اليهودي مكانة هامة ومؤثرة نتيجة استثماراتها المالية في تجارة التصدير والتوريد والأنشطة الاقتصادية الحضرية.

واحتلت جربة المركز الثاني لتجمع أفراد الطائفة اليهودية المحلية التي تعد من أقدم الطوائف استقرارا بالبلاد، فجربة هي الأخرى تمثل قطب جذب بالنسبة لليهود بجنوب البلاد، فهي مركز لإشعاع في أواسط القرن عشرة 550 عائلة، حسب مصدر من أكثر المصادر اطلاعا على المجتمع اليهودي، أي يمكن أن يحصى بما يقارب 2.800 نسمة توزعوا بين الحارة الكبيرة، والحارة الصغيرة، وتشير صفة[1] هذين التجمعين إلى مستوى حجم التركز بهما، وهو ما نلحظه كذلك من خلال عدد معابدهم في أربعينيات القرن التاسع عشر، إذ تواجد بالحارة الكبيرة 14 معبدا، وبالحارة الصغيرة 4 معابد مقابل 27 معبدا بالحضارة في نفس الفترة.

[1]– رضا بن رجب، المرجع السابق،ص 82-83.

وعلى مستوى الأنشطة الاقتصادية ليهود الحارتين لم تختلف عما مارسه اليهود من أعمال في البلاد عامة، فالميدان التجاري بتعدد فروعه وبمختلف أحجام الاستثمارات فيه، كان قوام حياتهم اليومية كما تمكن بعض الأثرياء من بينهم من الانخراط والتواصل مع ما أقره نظام الالتزام من أنشطة حرفية وتجارية.

كما توزعت فئات من الأقلية اليهودية كذلك على اغلب المدن المطلة على البحر من بنزرت[1] إلى جرجيس* لكن بنسبة تدنت بكثير عما حوته الحاضرة وجربة، وتشير مصادر العصر إلى تركزهم بالمدن الساحلية، خاصة بسوسة وصفاقس، وبعدد أقل بالمنستير والمهدية وتتقارب هذه المناطق مع نابل وقابس في احتضانها لمجموعات من اليهود وتبقى بنزرت وقلبية من أقل المناطق المطلة على البحر احتواء لليهود.

تشير نفس هذه المصادر إلى حياة مستقرة لحرفيين وتجار ضمن الأهالي وتتأكد هذه المعلومات من خلال ما سجلته بعض المصادر الأرشيفية التي نستكشف منها انصهار اليهود في النسيج العام لهذه المدن وبروزهم فيها كحرفين وتجار وسماسرة ودلالين بالأسواق وباعة متجولين ومرابين وصرافين ووكلاء ومساعدين لبعض كبار التجار المحليين[2].

وقد اشتغلوا بأغلب هذه الحرف، ومارسوا أغلب هذه الأنشطة في المناطق التي توزعوا فيها داخل البلاد مثل باجة وتستور والكاف وقفصة واستدعت منهم أعمالهم الاستقرار بها.

---

[1]–رضا بن رجب، المرجع السابق ص84.

*جرجيس: تأسست بلدية جرجيس بأمر علي من الباي في 24 ديسمبر 1889 وهي أول بلدية تبعت الجنوب بالجنوب التونسي، وثالث بلدية في تونس بعد تونس العاصمة وسوسة، أطلق عليها في البداية اسم مجلس الطرقات، وإلى حدود سنة 1907 لم تكن مهام هذا المجلس تتجاوز ضمن مشمولاتها المكان المعروف بقصر أولاد بوعلي، أو قصر الشلبة، أي مركز مدينة جرجيس الحالي، لقد كان المجلس البلدي في بدايته بتكون من رئيس و 6 أعضاء كلهم من الأهالي، ولكن مع تطور ونمو مهام المجلس البلدي، تغيرت تركيبة أعضاءه وأصبح يضم بداية من 14 أوت 1904 تاريخ إصدار القانون الجديد الذي ينظم تركيبة المجالس البلدية ومهامها:–مجلسا بلديا يتركب من: إثنان من المستشارين من الفرنسيين، ثلاثة مستشارين من الأهالي. مستشار يهودي، وكل هؤلاء يتم تعيينهم بموجب مرسوم يصدر عن الباي، أنظر: سالم لبيض، **تاريخ شيه جزيرة جرجيس، من العصور القديمة إلى نهاية الاحتلال الفرنسي** – تق: نور الدين سريب، ط1، الشركة العامة للطباعة سوجييم، (د.ب.ن)، 2001، ص107

[2]–رضا بن رجب، المرجع السابق،ص 84.

وإذا ركزت مدونات الرحالة على تواجد اليهود بالعديد من المدن الكبرى، فإنها لم تنشر إلا توزر وتشين و تمزرت، أي اولئك الذين اتخذوا من حياة الترحال نمط عيش لهم وأطلقت عليهم بعض المصادر: "يهود البر"

وخلافا لانتشار اليهود المحليين في العديد من مناطق البلاد فإن توزع أفراد الطائفة القرنية جغرافيا كان محدودا فأبرزه الأماكن التي استقروا فيها لم يتعد عددها الثلاثة، وهي الحاضرة بدرجة أولى تليها مدينتنا سوسة فيما وصفاقس، وإذا أثبت العديد من الإشارات بروزهم بنزرت وقليبية ونايل وسليمان والمهدية والمنستير وقابس وجربة، فإن إقامتهم بما كانت ظرفية ومقتصرة على بعض الأيام لمتابعة أعمالهم التجارية خاصة بالموانئ بما أن أغلب أفراد هاته الطائفة التصقت أنشطتهم بالأعمال التجارية والمالية سواء ذات استثمارات مرتفعة كالتي تتطلبها تجارة الجملة، أو ذات استثمارات قليلة في بعض الأنشطة مثل تجارة التجزئة أو العطارة أو الجزارة، وقليل هم القرنيون الذين مارسوا أنشطة حرفية كالخياطة والصباغة والنجارة والحدادة.

اتضح لنا من خلال التوزيع الجغرافي لليهود عامة سواء في بداية الفترة الحديثة أو في اعقابها، أن المجتمع اليهودي هو مجتمع حضري بالأساس اتخذ من المدن وخاصة المدن الكبرى لتجمعه ومحورا يخول أفراده ممارسة أنشطتهم الحياتية، وهذا يتفق مع أن المدن أكبر وعاء للوافدين على بلد ما، وبهذا تكون العوامل الاقتصادية قد حددت توزيعهم لقرب أنشطتهم من قلب المدينة التجاري، ناهيك أنه من السمات الديموغرافية للأقليات التي تتركز بالمدن وليس خارجها[1] فالمدن مجتمع مفتوح يمكن هذه الأقليات من التكتل والانصهار بين السكان على عكس المجتمع الريفي، وهذه الملاحظة يحيلنا إليها أكثر من شاهد، فالمهن التي مارسها اليهود هي بالأساس أنشطة حضرية وليست ريفية، كما أن توزع معابدهم احتوته المدن التي مكنتهم من الانصهار داخل المجتمع الحضري حتى يخلقوا لأنفسهم تواجدا حقيقيا ضمن المحيط الاجتماعي العام ونسيجه، فهل من ضوابط قانونية قيدت تواجد هذه الأقلية بدار من ديار الإسلام التي انتعشت فيها مقومات الحياة الاقتصادية للبعض من أفرادها وازدهرت؟ [2]

---

[1]– رضا رجب، المرجع السابق، ص ص84-86.

[2]– نفسه، ص86

❖ **الإطار السكني لليهود في تونس:**

إذا تأملنا توزع الطوائف اليهودية بالبلاد نلاحظ ظاهرتين، الظاهرة الأولى وهي إنتشار اليهود ضمن طوائف متعددة بكامل البلاد، وخاصة بالمناطق الحضرية، وهذا الإنتشار بهذه الكيفية مثلا جانب غير جبري في إختيارهم لأماكن إستقرارهم، أما الظاهرة الثانية، فهي تجمعهم في أطر محدودة جغرافيا، وهي التي قد تمثل الجانب الإلزامي في استقرارهم، فبين هذا الاختيار من ناحية والإلزام من ناحية ثانية هل يمكن اعتبار أن سكن اليهود قد مثل معزلا حشروا فيه قسرا؟ وهل كان هذا المعزل عائقا أمام ممارسة أنشطتهم الاقتصادية؟

تطلعنا مدونات الرحالة ببعض الأوصاف للأماكن التي استقر فيها اليهود واتخذوا بها دورا، وتطلعنا على تكتلهم في أطر سكنية محددة وكأنها خصصت لهم، ففي الحاضرة كانت محلات إقامتهم بالحارة وهي المنطقة التي تحتل الجزء الشرقي من المدينة وتتأخم ربض باب السويقة من قسمه الجنوبي، ومن خلال موقعها بالنسبة للفضاء المديني فهي لا تنفصل عنه بحواجز أو أسوار كما وصف ذلك بعض الرحالة واتبعته في ذلك بعض الدراسات لتركز مفهوم المعزل أو الغيتو فالحارة طوبوغرافيا ليست سوى إمتداد للمدينة وقطعة منها.

إذا نظرنا إلى المدينة من وجهة نظر سياسية وثقافية ودينية فإنها تتجلى بقداسة، وهذه القداسة لم تكن حاجزا أمام اليهود للاستقرار بطرق منها. بالرغم من أن المنظور الديني والتقاليد الراسخة في الذهنية الشعبية ترفض إختلاط المقدس بالمدنس وتحجز احتواء الواحد منها لنقيضه، باعتبار أن اليهودي من خلال هذا المنظور مدنس لعدم اعتناقه الإسلام، وإذا ركزنا على الجانب الأسطوري لنشأة الحارة، لاحظنا أن المجتمع اليهودي أراد أن يفضي شرعية لا تدحر تواجده، وذلك بالاحتماء بقرار سيدي محرز في تثبيتهم بهذا الجزء من المدينة، أي أن استقرارهم قد حرصت عليه أعلى السلط الدينية بالبلاد والتي لا مرد لقراراتها[1]

كذلك الشأن بالنسبة لتواجدهم بجربة، فاستقرارهم بها يعود تاريخه إلى زمن النبي البابلي سنة 589 قبل الميلاد، حسبما تذكره الأسطورة المؤسسة لنشأة الغريبة والتي يراد التعبير

[1]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص 90-91.

من خلالها عن أسبقية تواجدهم في المجتمع الإسلامي[1]، حيث يجتمع يهود جربة في أعيادهم ببيعتهم الغريبية التي رجع تاريخ بنائها إلى 25 قرنا خلت توجد فيها نسخة من التوراة هي من أقدم النسخ في العالم يقصدها يهود إفريقيا وأوروبا في شهر ماي من كل سنة تعقد فيها الاحتفالات الدينية والمهرجانات السياسية ليهود البحر الأبيض المتوسط[2]، وتبعا لتشبث المجتمع اليهودي بصحة هذه الأسطورة، فإن تواجدهم بالحارتين الكبيرة والصغيرة هو اختيار منهم ولم يتخذ هذان المكانان صفة المعزل أو المحشر وعلى أهم تجمعين سكنيين لليهود بالبلاد التونسية وهما الحاضرة وجربة، يمكن أن تتشابه الفضاءات السكنية التي تواجدوا فيها خلال الفترة الحديثة، أو عمروها وتركزوا بها قبل ذلك.

وإذا تطرقنا إلى ميدان الأنشطة الاقتصادية التي مارسها أفراد المجتمع اليهودي بالحاضرة، ونظرها إلى الحارة من زاوية أنها فضاء مغلق على ساكنيه كما أشارت إليه العديد من كتابات المؤرخين اليهود، فإن نفس الملاحظات تطرح أمامنا لتؤكد على انفتاح هذا الفضاء، فليس كل الأنشطة تواجدت وازدهرت خارج هذا الفضاء، ويكفينا دليلا على ذلك سوق الباي وسوق القرانة وسوق الصاغة التي اعتمرت بالتاجر والحرفيين من اليهود وفرضوا فيها نسق عملهم، فالمحلات التجارية بهذه المراكز التجارية النشطة تغلق أيام السبت وفي الأعياد الدينية لليهود، ويتعطل بذلك كل نشاط فيها[3].

إن الحي اليهودي في مدينة تونس في ظل الحفصيين يحتمل أن يكون هو نفس المنطقة التي أصبحت الحارة في العهد العثماني والتي تقع في الجزء الشمالي من المدينة، وفي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ازداد نمو حارة اليهود بالتناسب مع ازدياد عدد القادمين الجدد من اليهود[4].

---

[1]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص92.

[2]– يوسف بن أحمد الباروني، **جزيرة جربة في موكب التاريخ**، تح: سعيد بن يوسف الباروني، جربة، 1998، ص12.

[3]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص 92.

[4]– أندري ريمون، المرجع السابق، ص 85.

❖ **اللباس المميز لليهود بتونس:**

يعتمد جميع الطوائف اليهود والنصارى والسماسرة في البلاد الإسلامية، حكم عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لمن مضى من أهل ملتهم لا يشتبهوا بالمسلمين في لباسهم، وتمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين، وأن يلزموا زيهم حيث كانوا[1].

حيث استمر فرض القيود على ملابس اليهود لتمييزهم عن المسلمين خلال العهد العثماني، لكن يبدو أن هذا الغيار قد تغير شكله وتفاصيله عما كان عليه خلال العهد الحفصي، إذ أصبح لا يختلف عما يرتديه المسلمون من ثياب إلا من حيث اللون[2] وذلك من خلال التزاماتهم بلباس ذي اللون الداكن نظرا لكونهم من أهل الذمة في الديار الإسلامية[3].

فكان لزاما على الرجال من اليهود ارتداء جلابية سوداء لتمييزهم عن المسلمين الذين كانوا يرتدون جلابية بيضاء[4]، وحسبما ورد في مدونات الرحالة يتكون لباس اليهودي المحلي في القرن التاسع عشر من قميص وصدرية وقمرة فضفاضة في بعض الأحيان، وسروال يصل إلى حد الركبتين، وهي أردية ذات ألوان داكنة أغلبها بين الأسود والرمادي، ولغطاء الرأس اتخذ اليهودي قبعة سوداء متسعة الفوهة تحيط بها عمامة من ذات اللون وإذا شمل هذا الغيار اليهود المستقرين بالحارة وبالمدن التي تواجدوا بها داخل البلاد، فإن قلة من الذين تواجدوا ببعض المناطق النائية عن الحضر لم يلتزموا بنفس هذه الألبسة، خاصة أولئك الذين اختلطوا مع البدو الرحل في نمط الحياة واشتركوا معهم في أسلوب العيش، إلى حد أن أحد الرحالة لم يميزهم عن الأهالي المسلمين ويعود سبب ذلك على ما يبدوا وإلى بعدهم على بعض المكاسب التي تتعلق بالعلامات التي تميزهم عن الأهالي من المسلمين، إثر الحادثة التي اشتهرت في الأوساط السياسية، بقضية القبعات، وتتلخص حيثياتها في اعتقال يهودي وجهت له تهمة مغالطة السلطات واختراق قانون

---

[1]– أبي العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى**، دار الكتب السلطانية، ج13، القاهرة، 1337هـ/1918م، ص 380.

[2]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص88.

[3]– ريتشارد توللي، **عشر سنوات في بلاد طرابلس**، تع: عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.ت)، ص 21.

[4]– صموئيل أتينجر، **يهود البلدان الإسلامية (1950/1850)**، تر:جمال أحمد الرفاعي، عالم المعرفة، مايو، 1995، ص 313.

البلاد بسبب ارتدائه لطربوش من الطراز الأوروبي عوضا عن القبعة السوداء التي تميز اليهود[1].

ويتدخل القنصل الانجليزي بما أن المذنب ذو حماية بريطانية لانحداره من جبل طارق، كادت القضية أن تأخذ بعدا دوليا، إذ هدد برفع الأمر إلى السلطات العليا ببلده، وقطع العلاقات إن لم يتم حسم القضية لمصلحة اليهودي، وتحت هذا الضغط السياسي الذي من شأنه أن يعكر صفو العلاقات الدبلوماسية بين البلدين أجبر على التراجم وعدم التحكم في مصير اليهود الخاضعين لحماية قنصلية، كما سمح لهم بمواصلة ارتداء اللباس الأوروبي في قضية مشابهة تدخل كذلك القنصل الهولندي لمصلحة يهوديين من الطائفة القرنية بالإيالة بعد أن جلدا لإرتدائها قبعات أوروبية متخليين عن القبعة السوداء، وهما من اليهود الذين شملتهم معاهدة 1822 بين باي تونس ودوق توسكانيا والتي أبرمت أساسا لتحديد الوضع القانوني لأفراد الطائفة القرنية، وبمقتضاها حصل المستقرون الجدد بالبلاد على صفة رعايا توسكانيا، وإثر الحسم في قضية اليهوديين سمح للقرنيين باللباس الأوروبي، لم يكن ناتجا عن تأثرهم بنمط حياة المجتمع الغربي الذي انحدرا منه فحسب، بل كانت دوافعه أيضا مرتبطة برفضهم الانتماء إلى الطائفة المحلية ورغبتهم في التميز عن أفرادها، وهذا الاختلاف لا يعدوا أن يكون إلا عدم تجانس كرسته أساسا التباينات الاقتصادية بين الطائفة المحلية التي توارث أغلب أفرداها بمستوى عيش راق، بل إن أغلب النخب المالية والتجارية بالبلاد انحدرت من هذه الطائفة، ولم تؤد هذه التغيرات الجزئية التي كان وراءها البعض من يهود القرنة، لم تتأخر لتشمل اليهود التونسيين[2].

ففي الخامس صفر من السنة 1275 الثلاثاء 14 سبتمبر 1858م، صدر أمر الباي[3] محمد باي الذي كانت مدة حكمه قصيرة إلا أنها امتازت بتأصل العلائق بينه وبين مبعوث فرنسا القنصل ليون روش المستعرب المشهور، وهذا غرس في نفس الباي حب القانون،

---

[1]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص88.

[2]– نفسه، ص 89.

[3]–أحمد بن أبي الضياف، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ج4، المجلد الثاني، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت)، ص 259.

والتشبه بالأمم الراقية، ابتكر سموه مشروع عهد الأمان وبمقتضاه جاز اليهود التملك العقاري، ولبس الشاشية الحمراء[1].

وكانوا لا يملكون العقار، ولا يلبسون غير القلنسوة السوداء أما كساؤهم الخاص باللون الرصاصي، فإنه انجر لهم من أسلافهم فهم في عهد الدولة الحفصية، وكانت التسوية في الحقوق بين عموم سكان الإيالة التونسية حسبما اقتضاه دستور عهد الأمان، فاتحة باب تسهيل على اليهود[2] وذلك أن تعين ذي مخصوص لأهل الذمة*، ليس من أصول الدين وإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغير زي يهود المدينة، وهم من سكانها معهوأول من أمر بتغيير الزي لأهل الذمة الخليفة المتوكل العباسي في سنة خمسمائة من الهجرة، على عهدالملك الناصر من محمد قلاوون، كما حكاه صاحب محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، وكان ذلك أيام تراجع الخلافة العباسية[3].

ما نلاحظ أن رغم هذه التنازلات من سلطة ومجتمع غالى بعض الأحيان في التشبث بنواميس موروثة عن عهود ماضية، فإن اليهود بالبلاد التونسية قد واصلوا من جهتهم التمسك بالعلامات التي تميزهم عن المسلمين، وكان القاعدة القانونية تحولت عبر الزمن إلى عادات مألوفة جرى على وقفها العرب، لكن إذا فرضت العلامات المميزة على المجتمع اليهودي بأسره، فإنها استثنت أحيانا حاشية بعض البايات من اليهود، فأحمد

---

[1]– محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص 277.

[2]– نفسه، ص 277.

* أهل الذمة: إن وضع أهل الذمة داخل المجتمع الإسلامي يحدده قوله تعلى: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون من حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" سورة التوبة– الأية29، ويرى بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أن الجزية كفعلة منجزى فلانا ما عليه، إذ قضاها بجزية والجزية مثل العقدة، والحلسة، ومعنى الكلام حتى يعطوا الجزية التي يدفعونها للمسلمين عنهم.انظر: أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن** ج10، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422هـ 2001م، ص 77.

أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج8، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1939م، ص 110. وأنظر أيضا: جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل** في وجوه التأويل، ج2، ط1، تح: الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، العبيكان للنشر، 1990،ص184. أنظر أيضا: ابن القيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، ج2، ط1، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995م، ص125.انظر:الملحق رقم [2]ص 66.

[3]– أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص259.

باشاباي 1837-1855 مثلا أهدى بعض المقربين إليه من النخب اليهودية المحلية أزياء عسكرية فخمة مما يرتديه الوزراء وأعيان العسكر وحتى إذا اعتبرنا أن هذه الأزياء يقتصر حملها في بعض المناسبات هناك سبلا لتجاوز الموروث الديني للتعبير عن المكانة التي يحتلها مثل هؤلاء لدى السلطة العليا بالبلاد[1].

المبحث الثالث: العادات والتقاليد لليهود في تونس العثمانية

❖ **نظام الأسرة:**

نشأ المجتمع اليهودي على أساس نظام الأسرة الذي يقوم على السلطان المطلق لرب الأسرة وقد بدأ الوجود اليهودي بأسرة جدهم الأول إبراهيم عليه السلام ثم إبنه إسحاق ثم حفيده يعقوب الذي أصبح إسمه إسرائيل وكان لإسرائيل إثنى عشر ولدا فأصبح لكل منهم أسرة، كانت قليلة العدد في البداية ثم لم يلبث أن تزايد عددها مع الأيام حتى أصبحت قبيلة، وكانت الأسرة تقوم على:

- **نظام الزواج**[2]: لأنه من أحد الجوانب المهمة في أية دراسة معينة في الجانب الديموغرافي ولأية جماعة سكانية[3]، كما يعتبر الزواج مؤسسة تبنى على الشرعية الدينية، وتقوم على أساسا على المباركة الزوجية، وهو عقد يتضمن عديدا من التدابير التي تحفظ مصالح الزوجية المالية على الخصوص[4]، وتبدأ مراسيم الزواج في الشريعة اليهودية بالخطبة وقد حددت الشريعة السن اللائق للزواج 18عاما، وللرجل لكن يجوز للرجل الزواج عند بلوغ 13 عاما، ويتم الزواج حسب عقد يسمى "كتوباه" ومن أركانه تسمية المرأة على الرجل وتقديسها عليه بقبولها ولو بخاتم يعطيه إليها يدا بيد بحضرة شاهدين شرعيين قائلا لها[5] بالعبرية*" تقدست لي زوجة بهذا الخاتم" ويحرر العقد وبعده تعقد

---

[1]- رضا بن رجب، المرجع السابق، ص90.

[2]- زكى شنودة، **المجتمع اليهودي**، مكتبة الخانجي ، القاهرة، د.ت، ص ص 475-476.

[3]- رشاد رمضان عبد السلام، **يهود مصر**، 1956/1922، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2014، ص 264.

[4]- حاييم الزعفراني، **يهود الأندلس والمغرب**، تر: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000، ص 444، أنظر إلى الملحق رقم [5] ص 69.

[5]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 114.

*- العبرية: هي من أعظم اللغات، ويعتقد اليهود أنه في اتخاذ الألقاب العبرية ودلالة معنوية هامة في الدارين الدنيا والآخرة، أنظر ول ديوارنت، **قمة الحضارة**، تر محمد بدران، ج2. لجنة التأليف والترجمة والنشر، الاسكندرية، 2002،ص 329، وأنظر أيضا: نجوى طوبال، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر، 1830/1700 من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 66.

صلاة البركة بحضور عشرة رجال على الأقل والمهر عند اليهود ركن لازم للزواج وشرط قانوني لانعقاده ويعتبر الزواج في
الشريعة اليهودية عملية شراء للزوجة[1]، فتصبح الزوجة ملكا للرجل كأي متاع يملكه و لقد كان اليهود حريصين في البداية على أن يتزوجو السراري وبالجاريات ولقد كان اليهود شغوفين بالزواج شغفا يصرفهم عن كل شيء آخر سواه[2].

- تعدد الزوجات:

لقد شاع تعدد الزوجات لدى بني إسرائيل ولم يرد في التوراة قيد بخصوص عدد الزوجات[3] وللرجل أن يتزوج أكثر من واحدة[4] مثنى وثلاث ورباع، وإن لم ينص ذلك بصراحة في نصوص[5] التلمود* وإنما ورد بصدد تنظيم حقوق الزوجات الأربع في مؤخر مؤخر الصداق ومن كان متزوجا أربع نساء ثم مات فالأولى سابقة الثانية والثانية سابقة الثالثة والثالثة سابقة الرابعة أي سابقة غيرها في تحصيل مبلغ الكاتوباه من تركة المتوفي، لكن لمن يكن تعدد الزوجات منتشرا بين اليهود في تونس، فقد كانت عائلة الزوجة دائما تعمل للحصول على ضمانات تمنع الزوج من تزوج إمرأة ثانية ما لم يحصل على رضا زوجته الأولى.[6]

-الأولاد:

إن اليهود يعتبرون الأولاد هبة من عند الله[7] إذ حث التلمود اليهود على الإنجاب وعلى كل يهودي أن ينجب ولدين أو أكثر ومن ثم تراوح عدد الأبناء في الأسرة اليهودية ما بين ثلاثة أو خمسة أفراد وندرة الحالات التي زادت فيها أعداد الأسرة الواحدة إلى خمس أفراد ولقد حرصت الأسرة اليهودية على تدريب أفرادها على الترابط والتضامن مع

---

[1]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 115.

[2]- زكى شنودة، المرجع السابق، ص 480-481.

[3]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص117.

[4]- يوسف بن أحمد الباروني، المصدر السابق، ص11

[5]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 118.

*-التلمود: هو صيغة مشتقة من تلمذ والتلميذ الدارس في المدرسة ومن هنا التلمود كتاب الدراسة والتعليم، أنظر: عبد المجيد همو، **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات**، ط1، الأوائل للنشر التوزيع، سورية،2004، ص 118.

[6]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 118.

[7]- زكى شنودة، المرجع السابق، ص 483.

أبنائهم[1] بحيث كانت الزوجة هي التي ترعى شؤون الأبناء[2]، أما عن ترابط الأسرة الواحدة فقد عودوا الإبن الأكبر أن يعول عائلته وأشقائه خاصة النساء منهم.[3]

-الطلاق:

تفسخ الرابطة الزوجية بوفاة احد الزوجين أو بطلاق مكتوب "كيت" والزوج وحده هو القادر على فعل هذا من حيث المبدأ أو حماية لحقوق المرأة ونصرة للأخلاق الحميدة، ولم تتوان الجهود عبر العصور وبمختلف الوسائل للحد من ممارسة هذا الحق الأحادي الجانب الذي يخوله له التشريع التقليدي للزواج وحده، ويبقى هذا الحق معها ذلك مجحفا ومن الأسباب التي يتضرع بها الزوج للزوجة[4]:

1- الزنا: هو أشدها خطورة، وبسببه تصبح المرأة محرمة عن زوجها الذي عليه أن يسلمها عقد طلاقها، ويعتبر العيب أو العاهة من بين الأسباب التي تؤدي إلى الطلاق والعقم أكبر العيوب، وكانت فترة الانتظار الشرعية للتيقن من عقم المرأة تمتد من عشر سنوات، ثم انحصرت في سبع و بعدها في خمس، كما نشير إلى أن المرأة تستطيع أن تحصل على الطلاق[5] وعلى عجز زوجها جنسيا فتعددت أسباب الطلاق[6] وعلى إثرها يقوم يقوم الزوجان بمقاضاة ثم تتم مراسيم الطلاق اليهودي في المعبد بحضور الزوجين أمام القاضي وشاهدين، ويسلم الرجل وثيقة الطلاق إلى مطلقته قائلا: "إستلمي وثيقة طلاقك فإنت طالق وصرت حلا لغيري" يحتفظ المطلق بنسخة من نفس الوثيقة تعرف بالعبرية، وتنص على إسم الزوجة والزوج وتاريخ الطلاق في التقويم العبري وإسم المدينة التي يسكنها الزوجان، وأمام الشهود تعلن الزوجة استلامها مستحقاتها وهو ما يسمى بالإبراء ويحق للزوجة الزواج بعد مرور أيام العدة وهي 91 يوما، إلا إذا كانت حاملا عند الطلاق، ويجوز للزوج أن يرد مطلقته إلى عصمته حينما يريدها مرة أخرى، ما لم يكن

---

[1]-عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 117.

[2]-زكى شنودة، المرجع السابق، ص 484.

[3]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، 118.

[4]-حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 467-468.

[5]- نفسه ، ص 468.

[6]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 120.

الزنا هو السبب الرئيسي للطلاق، وللزوج أن يمنعها من الزواج من رجل اتهم بعلاقة آثمة معها[1].

وبعد مراسم الطلاق تتسلم الزوجة مؤخرا صداقها من الزوج بعد أن تقسم على اليمين على أنها لم يسبق لها أن تسلمت كتوبتها حسب الشريعة التلمودية إلا أن التأثر بالأقاليم التي عاش فيها اليهود مثل [2] القيروان* جعل المرأة تقبض مؤخرها دون أن تحلف اليمين، كما كان يتم دفع المؤخر على أقساط، ومن التأثيرات الشعبية المغربية على مراسم الطلاق اليهودي، ما كان يحدث فور خروج المطلقة من المعبد بعد إتمام مراسم الطلاق ، حيث تنتظرها النسوة ويسكبون كوبا من اللبن رمزا للسعادة ولا تعود المطلقة إلى منزل والدها في أول ليلة طلاق إذا كانت فيه نساء متزوجات خشية أن يصبهن نفس المصير[3].

[1]– عبد الرحمان بشير، المرجع السايق، ص 120.

[2]– نفسه،ص 120.

*–القيروان: فهي البلد الاعظم، وهي قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب ، أنظر:عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الدباغ، 696/605هـ تعليق أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي التنوخي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، (د. م. ن)، (د.ب.ن،)،839هـ، ص6.

[3]– عبد الرحمان بشير: المرجع السابق، ص 121.

الفصل الثاني

الدور الاقتصادي لليهود في تونس

المبحث الأول: مساهمة اليهود في التجارة البحرية

تشكل دراسة الحياة الإسلامية وممارسة أنشطتها مكانة هامة في الدراسات التاريخية، فالي هود رغم قلتهم إلا أنهم إحتلوا مكانة بارزة في بلاد المغرب ، كما وصلوا إلى مناصب في الإيالات العثمانية وشاركوا في المهن والتجارة وتمتعوا بالحرية الدينية[1] ويعود إستقرار البعض منهم هذه المنطقة منذ من هاجروا إليها إثر الهجرات الأندلسية وقد إندمج أغلبهم في المجتمع واتخذوا اللسان العربي لغة لهم ورغم الاحتقار الذي كان يكنه سكان المنطقة لليهود إلاأنهم تحصلوا على ثروات طائلة نتيجة ممارسة السمسرة والمراباة والوساطة في العمليات التجارية فكان اليهودي بنك متنقل ، فهو يعرض خدماته ويقدم قروض فوائد مرتفعة [2] ونشطوا في مختلف المهن والصنائع ذات المردود المادي المرتفع مثل التجارة الجملة وصناعة الحلى*.

حيث رصد دور اليهود الاقتصادي في تونس يحتاج إلى البحث، فلقد تمكنت بعض النخب اليهودية القرنية منها، الوصول إلى عالم القرضة بما توفرة من مواد وبضائع بمشاركتهم اساسا في ميدان اقتداء أسرى القرضة[3]بإعتبار مربح ولكثرة عوائده، لكن نشاطهم في هذا القطاع لم يتعد العشرية الأخيرة من القرن الثامن عشر وبالمقابل تواصل نشاطهم في قطاع التصدير والتوريد لا على إمتدادالفترة الحديثة فحسب بل أن اعمالهم سبقت هذا العصر وتعدته كذلك.

❖ فدية أسرى القرصنة

لم تنفصل القرضة في ظاهرة حركتها ونشاطها البحري عن البعد الديني في مختلف صوره فالقرضة الإسلامية استمدت شرعيتها من مفهوم النص الديني لكلمة

---

[1]– بنت معجب بن سعيد الحامد، **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (1256، 1326هـ/ 1840–1908م)** ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ،2005، ص255.

[2]– ناصر الدين سعيدوني ، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792–1830)**، ط2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،1985، ص48.

*صناعة الحلى : كانت هذه الصناعة في يد التجار اليهود ، وقد اشتهروا بإتقان الكثير من المصنوعات المطرزة بالذهب والفضة منها ، محافظ الجيبب، الاقراط ، العقد ، و الحميلات وغيرها : أنظر للإمام رشاد ، **سياسة حمودة باشا في تونس (1782–1814م)** ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1979م، ص276.

[3]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص ص 309–310.

[1]الجهاد*واستندت مثيلتها المسحية [2] إلى الحركة الصليبية وحروبها* وطبقا لهذا يتحدد لنا في الإطار التاريخي لدراستنا عالمين ، العالم الإسلامي الذي تزعمهالإمبراطورية العثمانية والعالم المسيحي الذي تقوده قرى و أوربا الغربية ، وبين هذين العالمين كان للتجار اليهود حضور في ميدان التجارة البحرية [3].

ولقد لعب اليهود التونسيون دورا كبيرا في التجارة [4] بحيث إستطاع التجار اليهود بحكم أعمالهم التي لم تخرج في أغلبها عن دائرة النشاط التجاري أن يشاركوا المجتمع القرصنيفي ما يغتمه من بضائع بالبيع والشراء والوساطة [5] قد جعلت تجار تونس [6] اليهود ينخرطون في القطاع القرصني شبه إلى حد ما بالمغامرة بل يقضي في بعض الأحيان طوعا أو قسرا غلى مغامرة مالية من جزء عسر مسالكه ، وبالرغم من تراجع الحركة القرصنية ونشاطها خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ، فقد كان للتجار اليهود ثبات فيها ، وتمسكوا بها في حقب إزدهارها ولم ينجر عن هذا التراجع تراجع يماثله في أنشطتهم، الذي إرتكز في جانب منه على عمليات استثمارية في شراء وبيع الأسرى [7].

وشارك في هذا القطاع حوالي ثلاثين تاجرا ساهموا إجمالا في عتق 161 أسيرا بمبلغ يقدر بـــ59.3800 ريالا وقد برزت في هذا الميدان نخبة منهم خولتها للمشاركة بقوة

---

[1]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص311.

*– الجهاد: مفهوم عام يشمل جميع الاستعدادات الفكرية و المدنية و السكرية التي من شأنها ردع الأعداء، أنظر سالم محمد الحميدة، الحروب الصليبية عهد الجهاد المبكر،ج 2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1990،ص 8، و لقد وردت الجهاد **في القرآن الكريم**: قوله تعالى : يأيها النبي الكفار و المنافقين و أغلظ عليهم و مأواهم جهنم و بئس المصير، سورة التوبة الآية 9.

[2]– رضا رجب ، المرجع السابق ، ص311.

*– الحروب الصليبية: التي بدأت سنة 1095م و كانت من أحد القوى الكبرى التي حركت تاريخ الرب الأوروبي، أنظر قاسم عبده قاسم ، **ماهية الحروب الصليبية**، عالم المعرفة ، الكويت،1990 ، ص 7– 8.

[3]– رضا رجب ، الرجع السابق ، ص311.انظر :الملحق رقم [6] ص 70.

[4]– كمال مايدي ، **علاقات تونس مع الدول أوربا الغربية المتوسطة وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782**–1814م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث ، المركز الجامعي بغرداية، قسم التاريخ ، 2011–2012 ، ص83.

[5]– رضا رجب ، المرجع السابق ، ص312.

[6]– ألفوانسوا روسو ، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الاحتلال فرنسا للجزائر** ، تح :محمد عبد الكريم الوافي المكتبة الوطنية الجزائرية ، بنغازي ، (د.ت) ، ص244.

[7]– رضا رجب ، المرجع السابق ،ص312.

سوق افتداء الأسرى، وقد عرفت هذه[1]الأسواق إتساعا هاما[2]وتأتي عائلة لمبروزو[3] في مقدمة هؤلاء التجار إذا استطاع جميع أفردها سواء بالاشتراك فيما بينهم أو فرادي الإستثمار في فدية 79% أسيرا 49% من جملة عدد الأسرى بمبالغ مالية فاق مقدارها ثلاثين ألف ريال أي بنسبة تزيد عن 51.5 % من جملة المبالغ التي وظفها جميع التجار اليهود في هذا الحقل ، ومثل هؤلاء كان نشاط أبراهام بنامين فرانكوا المستقر بالإيالة والذي رصد من أمواله ما تعدى العشرة ألاف ريال لإفتداء 26 أسيرا بالإشتراك مع أفراد عائلة لمبروزو مرة ، ومرات أخرى بمبادرة فردية [4].

يتضح لنا من خلال هذه المعاملات الثنائية أن هناك حلقة تدور في رحاها كل هذه العمليات أو بالأخرى شبكة جندت قسطا هاما من أموالها ، ومن طاقتها للاتجار في أسرى القرصنة استمدت طلباتها أساسا من التجار المستقرين بليفورنو بوصفهم المتصلين المباشرين بالجهات التي تبغي تحرير الأسير.

في الأخير نستطيع القول أن مشاركة التجار اليهود في تجارة أسرى القرصنة وقع إسمها بالمبادرة الإنسانية أو العمل الإنساني الذي يبقى النهوض بالإنسان كذات إنسانية وإن عملهم في هذا القطاع كان مغزاة تجارية بدرجة اولى ونتائجه او ما يترتب عليه من أرباح لا تتجاوز حدود الشراء والبيع في البضائع المطلوبة ، ومهما اتخذا هذا الفرع التجاري من أبعاد فإن حركته أبرزت على الصعيد اقتصادي عموما إحدى اهم الطرق لتحويل الأموال واعادة استثمارها في قطاعات أخرى وهو منطق يبنى على توسيع حجم الأملاك المنقولة[5].

- **قطاع التصدير**

أفادتنا وثائق القنصلية الفرنسية بالإيالة التونسية منذ القرن السابع عشر أن البضائع التي عبرت الموانئ التونسية وقام بتصديرها التجار اليهود وخاصة ان البضائع القرنيين منهم كانت متنوعة وارتبطت نسبة هامة منها بالمنتجات الزراعية، ولا نقصد من وراء

---

[1]– رضا رجب، المرجع السابق ، ص314.

[2]– محمد حسن، **المدنية والبادية بإفريقية في العهد الحفصى** ، ج2، (د.م.ن)، تونس ، 1999،ص169.

[3]– خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص296.

[4]– رضا رجب، المرجع السابق ، ص314.

[5]– نفسه، ص326.

هذا الطرح إثبات إمتياز هؤلاء المصدرين ولا تميزهم عن بقية الفئات التجارية الأخرى ، فبضائعهم تشابهت مع ما صدره المسلمون والأوربيون على السواء ، لكن الإختلاف يكمن في قوة حجم الإستثمارات من جهة ، ويسر تصريف هذه البضائع في الأسواق الأجنبية من جهة أخرى ، فما هي أهم أنواع البضائع التي يشارك في تصدرها التجار اليهود ؟

1- المنتجات الفلاحية :

إرتبطت هذه المنتجات أساسا بالمواد الغذائية التي كان لها رواج سواء داخل الأسواق المحلية او في الأسواق الأوربية ، او بالأخرى تلك البضائع التي لا يحيط بها الكساد وتشير اساسا إلى "زيت الزيتون والقمح والشعير والخشاخش " أو الحبوب بصفة عامة ، وإذا كان إزدهار تصدير هذه البضائع قد خضع من حينإلى آخر على طلبات ملحة زمن القحط والأزمات الغذائية فإن له اتصالا عميقا بالاستهلاك المحلي ، لذلك كان دأب الدولة في العديد من الفترات التحكم في تصريفه على الخارج بإخضاعه إلى ترخيص مشتق اطلقت عليها وثائق العصر ، تذاكر الشراح أو تذاكر الوسق " نظرا للمردود المالي الذي مكن أن تجنيه الدولة منه خاصة بالسعي إلى الرفع من أسعاره[1] ، ويفرض أداءات مجحفة على تجاره الذين يعود إليهم هم كذلك من الأرباح ما يغطي إجمالي التكلفة ويفوقها بمبالغ ذات بال لم تمثل مراقبة السلطة وتتبع عائداتها من تصدير هذه المواد عائقا امام المصدرين اليهود ثني عزمهم عن المشاركة أو حال دونهم والانتفاع بأرباحه ، بل ان إسهامهم إلى جانب أهميته أبرز الخصوصيات في تعاملهم ومعاملاتهم داخل الساحة التجارية للإبالة في علاقتها بالمراكز التجارية المتوسطة.

وقد ارتأينا في هذا الإطار أن نعرضها بحسب اهميتها في حركة التجارة الخارجية وبالتالي وزنها في مداخيل الدولة [2].

أ- الحبوب :

يمكن القول أن تونس كانت تعتمد على الزراعة أكثر من غيرها من الولايات الأخرى وخاصة أن طبيعتها المناخية وتربتها الصالحة للزرعة قد ساعدت على ذلك، وكانت الحبوب والخضر والفواكه أهم منتجات تونس وقد ساهمت هذه المحاصيل بنصب كبير

[1]- رضا رجب ، المرجع السابق، ص ص326، 327.

[2]- نفسه، ص ص326-327.

في حركة التجارة الداخلية والخارجية[1]. فمنذ القرون خلت مثل إنتاج الحبوب بشتى أنواعه ركيزة هامة اعتمدت عليها السلطة السياسية بالبلاد التونسية لتدعيم مداخيلها ، وإذا اعتبر القمح المحرك الأساسي لتجارة الإيالة الخارجية باعتباره أكثر المنتجات الفلاحية تصديرا خاصة في الفترة الحديثة ، فإن أنواع أخرى من هذه الحبوب أبرزها الشعير والخشاخش ساهمت في العديد من الفترات في تنشيط الدورة الاقتصادية للبلاد.

عند التعرض بالدرس على القمح وأهميته في اقتصاد الايالة التونسية على امتداد الفترة الحديثة لا يمكن تلاقي احتداد التنافس على تجارته خلال القرن السابع العشرين ابرز الجاليات التجارية الأوربية المرتكزة بالإيالة والمتكونة من الفرنسين والانكليز والجنوبين في مرحلة أولى ، كما لا يمكن تلاقي في سيطرة الفرنسين على تصدير كميات كبيرة منه في مرحلة موالية ، وفرتها لهم الإمتيازات الخاصة التي حظيت بها شركة الرأس الأسود والشركة الملكية لإفريقيا منذ سنة 1685 إلى أواخر القرن الثامن عشر ، وبالرغم من سطوة التجار الفرنسين على تجارة القمح ، تمكن بعض المصدرين اليهود في تسعينات القرن السابع عشر من شخص كميات هامة في إتجاه توسكانيا ، كما توصلوا في فترات لاحقة على إمتداد القرن الثامن ، خاصة بين سنة "1700 وسنة 1710 من تزويد ميناء ليفورنو بما عادل نسبته 38.4 %" من إجمالي إسترداد كميات القمح ، كذلك فاق تصديرهم لنفس الإنتاج من الإيالة التونسية بين سنة 1975 وسنة 1800 ما قيمته 56.25%[2].

حيث عد القمح من أكثر البضائع التي خضعت إلى أداءات ثقيلة جدا ، فهو بمثابة العملة النادرة التي تخضعها الدولة من حين لآخر ن وقد طبق هذا الأداء على جميع مشتري القمح من مسلمين وأوربيين ويهود على السواء ، وتبعا لثمن " التذكرة " فإن كلفة القفيز عند الإفتتاء تحدد بملغ " 76 ريالا في أدنى الحالات و " 111 " ريالا في أقصاها ، هذه دون إحتساب مصاريف الشحن والنقل وأداءات ميناء الإرساء التي تتزيد في تضخيم التكلفة ، وهذا ماساهم في تدني مشاركة التجار اليهود في تصدر القمح ، لذلك نلاحظ أن إستمثاراتهم قد وجهت صوب بضائع أخرى مثل " الخشاخش " وزيت الزيتون و الصابون

[1]– عبد المنعم إبراهيم الجميعي ، **الدولة العثمانية والمغرب العربي** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2000، ص59.

[2]– رضا رجب ، المرجع السابق ، ص328.

وهي بضائع أقل ثمنا لكن لها هي أيضا مكاسب مالية هامة إلا أن تصدر القمح من الايالة التونسية بين سنتي " 1856 و 1858 " لا يمكن مقارنتها مع ما صدر من القمح بين سنتي " 1814 و 1815 م " ، كذلك قيمته " تذاكر السراج " التي أنتجت ما عادل مبلغه 860،758 ريالا بالرغم من أن ثمن رخص تصدير هذه البضاعة قد تدنت إلى " 20 " ريالا أي إلى أقل من نصف الثمن الذي كان متداولا سنة 1814 م وما يشد الإنتباه في الإحصاء هو تصدير هذه البضاعة بين التجار اليهود والتجار الأوربيين لكن بنسب وكميات متفاوتة ، فالتجار اليهود اعتلوا كمية عادت نسبتها المئوية 61 % من جملة الكميات التي شحنت إلى خارج الإيالة ، وقد عادت إلى خزينة الدولة م " تذاكر الوسق " ما قدر بمبلغ " 462.898 " ريالا ، أما التجار الأوربيون على اختلاف جنسياتهم من فرنسين وإنجليز وايطاليين ويونانيين فقد توصلوا أمام قوة استثمارات التجار اليهود من تصدر ما نهزت كميته 14.798 قفيزا (39 %) وظفوا عليها جوالي " 295.960 " بالا كأداءات ، لكن مع اختلاف واضح في مبالغ الإستثمار وكميات القمح المصدر نظرا لتعدد جنسيات هؤلاء التجار واختلاف وجهات بضائعهم المنطلقة من موانئ البلاد[1].

وما أمدتنا به إحصاءات الجمارك التونسية لهذه الفترة عن تصدر القمح ينطبق تماما على ما صدر من شعير وبالرغم ن أن هذه البضاعة تأتي في مرتبة دون القمح فقد أكدت جملة الكميات المصدرة منعها مرة أخرى على توغل المصدرين اليهود في عمق الساحة التجارية للإيالة ، بنافستهم لأكبر المصدرين اليهود في عمق الساحة التجارية للإيالة بمنافستهم لأكبر المصدرين الأوربيين وذلك توظيفهم لأكبر مقادر الإستمثار ، وتوحي لنا هذه الكميات المصدرة ورأس المال الذي يسخر لترويجها بالتساع فضاءات أنشطتهم التجارية خاصة في أواسط القرن التاسع عشر ومزيد انفتاح الأسواق الأوروبية على استثمارهم ، وتعويل نفس هذه الأسواق على ما يمكن أن يساهموا به إلى جانب التجار الأوروبيين لسد طلباتها واحتياجاتها حول تصدير الشعير من الإيالة التونسية بين سنتي " 1856 و 1858 حيث لم تتركز استثمارات اليهود في اتجاه الموانئ الأوربية على هذه

[1]– رضا بن رجب ، المرجع السابق ، ص ص 334 – 336. أنظر الملحق رقم[8] ص 72. وانظر الملحق رقم[9]ص73.

الصنفين من الحبوب فحسب ، بل شاركوا في تصدير بضاعة أخرى أطلق عليها إسم"الخشاخش"

ب- الخشاخش :

إنطوت هذه البضاعة العديد من المنتجات الفلاحية ، وجمع تسميتها أغلب أصناف البقول الجافة مثل " الحمص، والفول باختلاف أحجامها والعدس والفاصولياء والجلبانة والقرفالة وبعض النشويات ومن أهمها " الطقانية وإذا كانت كل البضائع مجتمعة أو متفرقة دون القمح والشعير قيمة وأسعار باعتبارها البضاعتين اللتين اختلتا صدارة النشاط التجاري الخارجي للإيالة ، فإنها كانت هامة بتنوعها م ناحية بقيمتها المالية من ناحية ثانية ، فالمراكز التجارية المتوسطية ترغب في إقتنائها والدولة أخضعتها " لتذاكر الشرح " لم لها من مردودية تدعم بها مداخليهاوما كنا قد أكدناه سابقا من أن التجار اليهود قد عوض وبتصدريهم للخشاخش إحجامهم عن المشاركة في تصدير القمح والشعير[1]. فالمبالغ التي اقتنوا به رخص تصدير هذه البضاعة " 62.694 " ريالا نظير " 9 " ريالات عن القفيز الواحد والكميات التي صدرت منها 6.966 قفزيا قد تجاوزت بكثير ماقتناه المصدرون المسلمون والاوربين مجتمعين[2].

ج / الزيت :

يعتبر زيت الزيتون بعد القمح من المنتجات الفلاحية الأساسية التي اعتمدت عليها الدولة فتجارتها الخارجية ، حيث يوجد بتونس عدة أنواع من الزيتون ويستخرج من زيت الزيتون ، واجود زيت زيتون بلد قفصة وبلد توزرز بحيث يكون ألذ طعما وأنقى لونا كأنه ماء [3]، حيث يشير المبشرإ يفالد في رحلته من تونس إلى طرابلس أن منطقة سوسة لا يجد لأهلها مورد رزق غير غراسة الزيتون وترى كامل المنطقة المحيطة بالمدينة تعج بما لا يحصى ولا يعد من غابات الزيتون ، وعندما ما تكون صابة الزيتون حسنة فإنه يصدر من مواقع الخزن الرئيسية الثالثة ، وهي سوسة والمهدية وصفاقس ، مليون "

---

[1]- رضان رحب، المرجع السابق ، ص ص 336 ، 339 .

[2]- نفسه ، ص 339 ، 340 .

[3]- محمد بيرم الخامس ، **صفوة الاعتبار بمستود الأمصار والأقطار** ، ج 2 . ط 1 المطبعة الإعلامية ، مصر ، 1302 ه ، ص 115 .

مطر" من الزيت في السنة [1] . وتعد هذه البضاعة إلى جانب ماشتق منها كا " الصابون الحجري " أو " الصابون الطري " أو ماي خلف اعصارها من مواد مثل " رماد الغاسول " والفيتورة من أبرز صادرات البلاد التونسية في القرن التاسع عشرة خاصة في النصف الثاني منه ، وقد أخضعته الدولة كسائر البضاعة وليدة فترات ازدهارها ، بل كان لهم حضور تأسس حتى قبل ط دورة الزيوت " لكن ما تميزا به خلال فترة إقلاع تجارة تصدير الزيت ومشتقاته حضورهم المتواتر والمكثف في المراكز الخاصة للإنتاج هذه البضاعة ونشير بهذا إلى تمركزهم خاصة بمختلف موانئ منطقة الساحل التي استطاعوا أن يصدروا منها القسط الوفير مما تتجه إلى جانب حضورهم كذلك في موانئ أخرى للغرض ذاته .

وقد وجت في نشاط المصدر بين اليهود وحركتهم وعلاقاتهم بالموانئ المتوسطية وبكرى شركات الاستيراد في عدة بلدان أوربية مما ساعدها ويسر لها تصنف أهم انتاجها الفلاحي[2].

- منتوجات فلاحية أخرى :

إذا راهنت الدولة على امتداد الفترة الحديثة على تصدي أهم إنتاجها الفلاحي مثل القمح الشعير والخشاخش بمختلف أنواعها وكذلك زيت الزيتون وأخضعت بيعها قصرا ألى " تذاكر السراح " فإنه تواجد منتجات أخرى متعددة الأصناف بمواء التصدير اعدت لتسوق خارج اسواق المالية لك اخرجتها الدولة من دائرة اداءاتها الثقافية ووظفت عليها رسومات جمركية عادية ورغم طول قائمة هذه المنتجات التي تتراوح انواعها بين " 13 " و : 15 " ضفا فإننا نقتصر لى تلك التي ساهمت في تنشيط جزء من قطاع التجارة الخارجية ، ذلك تقتصر على تلك التي ساهمت في تنشيط جزء من قطاع التجارة الخارجية ذلك أن التدقيق في تتبع تفاصليها لانخلاه ذا فائدة تدعم هذه الدراسة سواء بالنسبة لبضاع التصدير عامة او بالنسبة لاستثمار التجار اليهود فيها [3]

---

[1]– المشر ايفالد ، **رحلة المبشر ايفالد من تونس إلى طرابس في سنة 1835 ، مرورا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة والمستنير والمهدية وصفاقس وقابس و جربة)** ، تع : منير الفندري ، ط 1 ، بيت الحكمة ، قرطاج ، 1991 ، ص 40 ، 41 .

[2]– رضا بن رجب، المرجع السابق ص 341 –346.

[3]– نفسه ، ص 347 .

أ- تصدير التمور .

-تمييز الجنوب التونسي بعد غابات للنخيل في عدة واحات التي صورها صاحب الصفوة في قوله " والنخيل غير أنه في غير الجريد فله أنواع عدها بعضهم ثمانين نوعا[1] فإن التمور تسود زراعتها فيبلاد الجريد المعروف ببلاد التمور[2] وقد أرسى تصديره منافسة شديدة بين اليهود المحليين والتجار الفرنسيين الذي تهافتوا على اقتنائه منذ القرن السابع عشر ، والتي كانت الأولية فيها إلى " 18 " تاجر يهوديا خولتهم مبالغ الاستثمار التي رصدوها لهذه البضاعة " (2.472 ريالا من تصدير ثلاثة أرباع الكميات المصدرة 2.472 قنطار حوتها 35 عملية شحن في حين أن التجار الأوربيين رغم معرفتهم بأسواقه وبطلباته ن هذه البضاعة فان استثماراتهم لم تحظى إلا بالقليل منها إذا لم تتجاوز الكميات من قبل " 13 " تاجرا لتسويقها الخمس من إجمالي الكمية التي صدرت 648 قنطارا " وتنطبق ضعف هذه الاستثمارات على التجار المسلمين لكن بصفة مغايرة ، لذ لم يتوصلواإلى وسبق سوى " 151 " قنطار أي ما يعاد نسبة مؤوية ضعيفة جدا لم تتجاوز 4.6 " من جملة الكميات المصدرة عادت مكاسبها على أربعة تجار لا غير[3].

تصدير الحناء:

تزرع في جربة وفي مناطق من الجريد وقد اشتهرت بها واحة قابس ، ويتم تجفيفها ثم دقها لتستعمل مع الماء على اليدين أو شعر الرأس[4] ، فإذا كانت أغلب المنتجات الفلاحية التي صدرت من الايالة هي من صنف المواد الغذائية ، فإن الحناء تكاد تكون البضاعة الوحيدة التي تدخل في اطار تصدير مواد الزينة ، وبالرغم من أن هذه المادة لا تعد من المواد الأساسية في قوائم البضائع التي تصدرها الايالة ، فإن بعض التجار وخاصة اليهود قد سخروا جزاء من استثماراتهم للإتجار بها بإرسالها أساسا إلى الموانئ الأوربية ، ويبدوا أن قرب اليهود من مناطق إنتاج الحناء وخاصة يهود قابس قد يسر لهم

- محفوظ سعيداني، المرجع السابق،ص153.

[2]-Guillaume thomes Raynal,**histoirephilosophique et politique des établissement et du commerce des européens dans l'Afrique septentrionale**, 2T pierre mannus, paris ,2005 p 21.

[3]- رضان بن رجب ، المرجع السابق ، ص ص 347 439 .

[4]- أندري بايسونال ، **الرحلة إلى تونس (1724)** ، تر : محمد العربي النوسيني ، مركز النشر الجامعي ن نتونس ، 2004 ، ص 121 .

اقتناء أغلب الكميات من هذه البضاعة ، حيث بلغت قيمة أداءهم على تصدير " 473 حصيرة حنا " 591.75 ريالا أي بحساب ريال وربع الريال على " الحصير الواحدة والي وزنها وزن القنطار، شحنت عبر " 23 " عملية وعلى خلاف التجار المسلمين والتجار الأوربيين فكان السبق والتوفق للتجار اليهود

وخاصة المحليين منهم في إيفاد أهم هذه المنتجات من جنوب الإيالة إلى أسواق أوربا وبعبارة كان لهم إسهام في وصل الصحراء بشمال المتوسط.

3- المواد الأولية والمواد المصنعة:

ارتبط المواد الأولية والمواد المصنعة التي صدرتها الخيالة التونسية في الفترة الحديثة بأنشطة القطاع الفلاحي وانتاجه ، وبالرغم من عدم تنوعهافقد ساهمت بعض البضائع منها في تنشيط حركة تجارة اليهود الذين كانت لهم سيطرة واضحة على الاتجار في بعض هذه المواد والتي سنقتصر على اسمها هنا وهي " الجلد والصابون بنوعيه ، " الحجري " " والطري "[1].

أ- الجلود:

تعد الجلود من المنتجات الحيوانية ، حيث منح الباياتالمراديون في القرن 17م ثم البايات الحسينيون في القرن 18م احتكار تجارة الجلود لليهود مقابل ضرائب نقدية أو عينة ، كانت قيمتها في نهاية القرن 18م 120.000 ليره وتقوم الشركة صاحبة الامتياز المسماة **جيورناتي** بجمع الجلود من مختلف المناطق الايالة عن طريق وكلاءها ، ثم تقوم بمعالجتها في تونس وتصدر الجزء الأكبر إلى ليفورنو[2].

- بحيث يتحكم اليهود بتونس بتصدر الجلود وبيعة للتجار الأوربيين باستثناء الجلود المدبوغة التي تصدر إلى ميناء ليفورنو ، وأحيانا يتوقف إنتاج الجلود بسبب توجه عماله غلى حمالة السلاح في حالة الحرب [3].

---

[1]- رضا بن رحب ، المرجع السابق ، ص ص 349 ، 351 .

[2]- مليكة الشيخ، **العلاقات السياسية و الاقتصادية بين تونس و فرنسا خلال القرن الثامن عشر**، إشراف عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية ،قسم التاريخ،2011-2012،ص 164.

[3] -Pierre grand champ**, études historiques tunisienne-17-19pierre Grand cha** :eme siècle , presse niversitaire, France, 1966,p104.

- حيث تشير وثائق مؤسسة دار الجلد الاواسط القرن الثامن عشر بعض المصطلحات التي تثير الانتباه مثل يهود دار الجلد قرانه دار الجلد وتجار دار الجلد إذ تشير هذه المصطلحات إلى المكانة اليت اكتسبها اليهود في صلب هذه اليهود في صلب هذه المؤسسة إلا أنها من جانب اخر تعبر عن اعتراف عن اعتراف الدولة سلطة وتجارا بثباتهم فيها وتأصلهم بها الأمر الذي قاد كتبه هذه الوثائق إلى نعتهم باسمها واعتباراتهم منتمين إليها حيث لم تكن هذه كتبه هذه الوثائق إلى تجار اليهود كمالهم واعتبارهم متمين إليها حيث لم تكن هذه التجارة مقتصرة على تجار اليهود كما لم يكن حكرا عليهم فقط،، فقد تداول أمره المورسيكون بحلولهم بالبلاد وسيطرتهم على مادته وأسواقه، ون باب الاحتمال أن يكون الإطار الذي جمع المورسيكيون باليهود المهجرين من الجزيرة الايبرية قد يسر لهم انضمامهم إلى هذا الفرع التجاري، إذ أن بروز اليهود في ميدان الجلد حسب ما تشير إليه بعض الوثائق قد تزامن وأواخر القرن السادس عشر، وتدعم أكثر في أواسط الاقرن الذي تلاه، بعد أن تركه المورسيكون دون رجعة خلال العشرية الثانية منه.

ويبدو أن الفجوة التي تركها المورسكيون في هذا النشاط قد شغلها بعض التجار اليهود وأحكموا استغلالها.[1]

ب/ الصابون:

يتم استخلاص الصودا "LABARILLE" بعد حرق أحد أنواع النبات، وتدخل هذه المادة في صناعة الصابون، الذي اشتهرت به مدينة سوسة*،بسبب توفر الصودا وكان يصدر خاصة إلى ليفورنو.[2]

حيث من خلال الاحصاءات تبين السيطرة الواضحة لليهود على تصدير هذه البضاعة ففي الحقبة الأولى تصدير الصابون من الإيالة التونسية بين سنتي 1813 و 1814م، فرغم مشاركة 7 تجار مسلمين في تصدير 2.309 قناطير من الصابون ومساهمة 8 تجار

---

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص ص 352–355.

* **سوسة:** مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر ينتهي البحر إليه ويضرب فيه وبها آثار الأول وكان بناؤها في ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن الإبراهيم بن الأغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام وكانت سوسه آن ذاك قرية وأتى بعده ابن أخيه أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب فجدد سورها وألحقها بالمدن وكان تجديده لسورها سنة تسع وأربعين ومائتين. أنظر: أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد التيجاني، **رحلة التيجاني**، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981، ص ص 25–26.

[2] مليكة الشيخ، المرجع السابق، ص ص 356–357.انظر الملحق رقم [10] ص 74. وانظر الملحق رقم [11] ص75.

أوروبيين من تصدير 875 قنطارا فإن هؤلاء لم يتوصلوا بمبالغ هذه الكميات مجتمعة (3.184 قنطار صابون) إلى تحقيق استثمارات عادلت أو قاربت قيمتها استثمارات 23 تاجرا يهوديا حيث فاقت الكميات التي صدروها نسبة 60% (4.916 قنطارا) عاد للدولة ما ثلثها من مبالغ (14.748 ريالا) أي بحساب 3 ريالات لتذاكر السراج، قنطار واحد فرضت على كل المصدرين.

أما خلال الحقبة الثانية تصدي الصابون من الإيالة التونسية بين سنتي 1856 و 1858، فقد تمكن في هذه الحقبة 9 تجار يهود من تصدير 2549 قنطار احتوتها 18 عملية شحن، وقد تمثلت هذه الكمية تقريبا كل ما صدر من الإيالة.

❖ **الاستثمارات في بضائع التوريد :**

لقد إنحصرت اغلب البضائع التي صدرها التجار اليهود الذين[1] لهم أهمية بالغة [2]في الساحة التجارية للإيالة بمختلف انتماءاتهم في المنتجات الفلاحية والبضائع التي وردت قد تعددت انواعها وأشكالها واحجامها وقد عبر تنوعها عن افتقار الساحة التجارية إليها واستجابة الموردين لطلبها ويبدو ان التجار اليهود قد تميزوا من غيرهم من التجار بمزيتين ساهمتا بقدر هام في تلبية إحتياجات السوق التونسية وسنذكر فيما يلي اهم البضائع التي وردها التجار اليهود.

1- بضائع الصناعات الحرفية :

ونجد في مقدمتها الصوف ، قم تكن علاقة التجارة التونسية بهذه المادة مقتصرة على التوريد فحسب بل كانت تصدر كميات هامة منها إنحصرت في [3]الصوف الرفيع [4] المشط او الصوف الزر لم يخضع إلى التنظيف وبالمقابل كانت الايالة تجلب أصوافا ذات جودة عالية منها الصوف الاسباني الذي يعتبر من الأصواف الرقيقة التي تستعمل في صنع الشاشية وقد لعب التجار اليهود بتونس دور كبيرا في جلب هذه الأصواف [5] إذن لقد

---

[1]-رضا رجب ، المرجع السابق ، ص359.

[2]- مارك كوهين ، **بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى** ، تق: صادق جلال ، تر: إسلام ديه معز ، ط1، منشورات الجمل ، بغداد ، 2007، ص197.

[3]- رضا رجب ، المرجع السابق ، ص359.

[4]- مارمول كاربخال ، **وصف إفريقيا** ، تر: محمد حجي ، ج2، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1989، ص117.

[5]- كمال مايدي ، المرجع السابق ، ص86.

إرتبط الصوف بكميات كبيرة بإزدهار صناعة الشاشية التي تعد عمرة تونسية عريقة اصيلة تمتاز بشكلها المستدير وبلونها الأحمر القرمزي وهي تدرز بالإبر وتعالج بمهارة صناعية رائعة فتمتعت الشاشية التونسية بشهرة واسعة امتد استعمالها خاصة لدى الفئات اليهودية[1] كما انها ساهمت عن زيادة ثروة البلاد [2].

ب- الأقمشة والحرير والمواد المصبغة :

لقد كانت الأقمشة من السلع التي يرد ذكرها الكثير من التعاملات التجارية[3]ولقد تعددت الأنواع المستوردة من هذه البضائع إلى السوق التونسية [4].

ولقد لجأتإلى استيرادها بمختلف أنواعها بسبب الخشونة التي تميزت بها المنتوجات المحلية مقابل النوعية الرفيعة للمنتوجات الأوربية خاصة إستيراد الأقمشة الفرنسية [5] وتشير الكميات الموردة بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى ارتفاع نسق استعمال البضاعة والمكانة التي احتلها في النشاط التجاري الخارجي ، كما نبهت أعداد التجار اليهود الذين شاركوا في توريد الأقمشة في نهاية القرن التاسع إلى التواجد المكثف للتجار اليهود في سوق الأقمشة سواء الأجنبية او المحلية .

❖ **الحرير:**

كان لهذه البضاعة صلة وثيقة بحرفة من أبرز الحرف التي إزدهر نشاطها وإنتاجها وهي حرفة الحريرية التي ذاع صيتها بالإيالة كان اليهود دور كبير في صناعة الحرير بما أن انتاجها لا في اقبالا في السواق المحلية خاصة واهتمام الدولة بها بحكم ضمتها إلى احتكارها دليل على ازدهار تجارة توريدها بما ان البلاد تفتقر إلى توريدها ولقد تقارب باستثمارات التجار اليهودوالمسلمين في توريد الحرير نسبيا غير أن اليهود حافظوا على قدر من التفوق في استثمار هذه البضاعة.

❖ **المواد المصبغة :** لقد تنوعت المواد الصباغة الواردة على الايالة من البلدان

---

[1]– مليكة الشيخ، المرجع السابق، ص168.

[2]– رشاد الامام، المرجع السابق، ص286.

[3]– كانت فليب، **التجارة بين أوربا والبلدان الاسلامية في ظل الدولة العثمانية**، تع : أيمن الارمنازي، ط1، مكتبة العيكان، الرياض ،2004، ص199.

[4]– رضا رجب، المرجع السابق،ص199.

[5]–مليكة الشيخ، المرجع السابق، ص169.

الأجنبية فمنها ماكان ممتازا اللك البرازيل [1] وايضا القرمز[2] التي كانت تستعمل في تلوين الشاشية[3] وبعض المنسوجات[4] الحريرية ، ولقد كان نشاط التجار اليهود في تزويدالمواد الصبغية قد تماشي في نفس النسق من التواري من التطور مع ماستور دوه من أصواف وحرير وبعض انواع الأقمشة مثلهم مثل اغلب الموردين الذين استثمروا في هذه البضائع.

2 االبضائع الاستهلاكية :

❖ **بضائع الترف :** اقتصر اقتناء هذه النوعية من البضائع على اصحاب الامكانيات المالية من محلين واجانب خولهم وضعهم الاجتماعي التمتع بها باعتبارها من قبيل الكماليات والبضائع الفاخرة وفي هذه الاطار ابرزت قوائم استيراد المنتوجات عدة انواع من اقمشة والبسة رجالية ونسائية باهضه الأثمان بالأسعار التي اقتنيت بها ساهمت في رفع من القسمة المالية للاستثمارات[5]التجار[6] اليهود وتعتبر العمليات التي امنها التجار هي هي الدالة على نشاطهم وحركتهم بموانئ الايالة حددت بحوالي 81 عملية توريد سنة 1780–1781 وارتفعت سنة 1844 –1845 لتفوق المائة عملية قام بها ما لا يقل عن 54 تاجرا يهوديا لقد تميز اليهود بتفوقهم الواضح نتيجة استعدادهم المتواصل لتزويد زبائنهم بما يرغبون في اقتنائه بانتظام او قلتقل نتيجة فطنتهم إلى يمكن ان تتجه هذ التجارة من أرباح.

❖ **الموارد الغذائية:**[7] لقد استوردت تونس عدة مواد غذائية اختل فت طبعتها عن صدرته وتعرف هذه الأخيرة بالمواد المعاشية مثل القهوة [8]والسكر والتوابل [9]التي لم تتواجد ببلاد وقام التجار اليهود بتوريد هذه البضائع الاستهلاكية وشاركوا في جلبها إلى السوق التونسية كما سخر نسبة هامة من استثماراتهم لاستيراد أصناف أخرى من بضائع

---

[1]– رضا رجب ، المرجع السابق ، ص377.

[2]– المقري، **نفخ الطيب من عصن الأندلس الرطيب**، تح : إحسان عباس ، ج1، دار صادر ، بيروت ،1998،ص141.

[3]– مليكة الشيخ، المرجع السابق، ص171.

[4]– أبو جعفر الطبري ، **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك** ، ج4 ، دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت ، ص254.

[5]– رضا رجب، المرجع السابق ، ص ص 379، 380.

[6]– مارمول كاربخال، **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1989، ص20.

[7]– رضا رجب، المرجع السابق ، ص383.

[8]– مليكة الشيخ، المرجع السابق ،ص383.

[9]– حاييم الزعفراني، المرجع السابق ، ص402.

ولا شك أن توفر الطلب ساهم بقسط كبير في دعم حجم استثمارات التجار اليهود وأرباحهم التي زادت ارتفاعها بالعديد من طلبات الدولة[1]

3-طلبات الدولة :

لابد من الإشارة إلى أن محتويات هذه السلع لم تقتنيها الدولة بتمامها بل إن كميات منها وزعت على الأسواق المحلية لاحتياج المستهلكين لها ولان الدولة كانت مستهدفة الأولى منها ، خاصة عندما تكثف جلب هذه البضائع مع أربعينيات القرن التاسع عشر وفي اطار ما بدأت تشهده البلاد من تطور مسايرة لبرنامج سياسي من اولوياته استثناء مؤسسات على النمط الأوربي وبالتالي عدم وجود تنوع لطلبات الدولة على امتداد أكثر من نصف قرن لكن ما يورده جرد السجلات المتجر يشير إلا تغير مواصفات هذه فالخردوات ومواد البناء لا حصر لأنواعها وقد وجهت أغلب الاستثمارات المالية بجلب الخشب والرخام والأجر كما نجد الاسلحة النارية والاسلحة البيضاء والبارود وبالرغم من ان كميات هذه البضاعة تبدو قليلة في كلتا الفترتين ألا أنها لا تمثل لاقتناءات الدولة لتسليح طاقتها العسكري بقدر ما هي مشتريات ظرفية لتعزيز احتياجاتها لكن حركة التوريد قد تداعمت نظرا لازدياد طلبات الدولة[2] وفي الأخير نستنتج أن جملة هذه البضائع المصدوق او الموردة عبرت عن طبيعة اقتصاد البلاد ومدى تدخل اليهود في شؤون النفود الاقتصادي[3] الاقتصادي[3]

[1]- رضا رجب، المرجع السابق، ص383.

[2]- نفسه، ص ص388--389.

[3]- هدى درويش ، **العلاقات التكية اليهودية واثرها على البلاد العربية**، ج2،ط1، دار القلم ، دمشق ،2002،ص09.

المبحث الثاني: اليهود ونظام الالتزام بايالة تونس

لم يكن الدور الذي لعبه الملتزمون أو اللازمة ، باصطلاح الفترة الحديثة من المسلمين ومن اليهود ، خاصة خلال قرنين الثامن عشرة والتاسع عشر دورا بسيطا ولا بالدور الذي لم جن لهم أرباحا ومداخيل هامة ، بل إن الوثائق المعتمدة في هذا القسم من الدراسة ، وتتبع سير العائلات الثرية، يشهد بأن دورهم في هذا النشاط ليس هاما فحسب، بل تعاظمت أهميته كلها انفردوا بلزمة ما ، وتمرسوا بدوليها إلى حد الاحتكار ، للنهل من مداراتها ولمزيد تنمية ثرواتهم

فما هو نظام الالتزام بالإبالة التونسية في الفترة الحديثة ؟ وكيف تجلي دور اليهود فيه؟

- **نظام الإلتزام:**

في مفهومه اللغوي يشير الجذع " ل. ز.م" إلى ثبات الشيء ودوامه ، ولزم المال أي وجب عليه ، وجاءت كليمة " الإلتزام " ليعني التعهد والتكفل ، وقد أشارت وثائقيا إلى هذا المصدر بلفظ " لزمة " وإلى المتلزم بلفظ " لزام " ولئن كان إنحدار هذين اللفظين من اللغة العامية ، فإنهما يجملان نفس المعنى باللغة العربية1 ، إذا يقال " " التزام فلان القرية والعشر وغيرهما أي ضمنهما بمال معين يدفعه للحاكم بدل ريعهما " 2

والإلتزام في مفهومه العام لا يختلف عن مفهومه اللغوي ، إذا هو يعبر عن إتفاق بين طرفين ، يلتزم وفقه الواحد الآخر بالتزامات محددة ، يضبطها وينص عليها عقدا نادرا ما يكون شفويا ، وفي صلب موضوعنا ، فإن هذا العقد يجمع في ذات الوقت طرف أول دائما وهو الدولة صاحبة جميع اللزم ومحتكرتها ، وطرفا ثانيا إما أن يتمثل في:

*شخصين إثنين مثل إلتزامااليهودين " داود بن طاووس ولو مر بن يعقوب غال لزمة حانوت القرار " بملغ 1000 ريال عن سنة 1157 (1744–1745) . 3

كما يمكن لمجموعة من الأشخاص حتمت عليهم أهمية اللزمة وسعرها وقانون المنافسة توحيد أموالهم للظفر بها ، وتوحيد جهودهم لتسييرها كما الحال في " الزمة البطانات " حيث أحصينا إتفاق " 20 شواشيا اشتركوا لاقتنائها بملغ " 100.000 ريال عن سنة

---

[1]– رضا بن رجب، المرجع السابق، ص 121 .

[2]– إبن منظور، **لسان العرب**، مادة "لزم"، رقم 7995، مجلد 12 ص 541 . كذلك أنظر: البستاني بطرس، محط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1983، ص 814 .

[3]– رضا بن رجب، المرجع السباق، ص 122 .

1159 (745–1746) ، والزامه دار الجلد التي كانت من نصيب " 12 يهوديا وبدأ العمل بها سنة " 1786" بملغ " 161.000" ريال في العام .

وهذا الاتفاق هو تعهد الطرف الثاني والتزامه بأداء معلوم اللزمة نقدا كان أو عيناي ، مقبال أن نتعهد الدولة بالسماح له بجمع وتحصيل ما يهود غليها من أداءات أو ضرائب فرضتها على الأنشطة الحرفية أو التجارية لرعيتها ، وبالغرم من أن الطرف الأول هو المحدد لهذا العقد ومقرره ، ومن ثم فهو المسيطر ، فإنه يمنح الملتزم جانبا من الحقوق وهامشا من الحرية يبدئ في تطبيقها و ممارستها عقب الاتفاق الذي يحدد يوم الانطلاق مباشرة العمل باللزمة ، فتصبح له بذلك أحقية التصرف فيها .

ومن باب حماية حقوق الملتزم ، ومن جانب آخر ضمان الدولة لمداخيلها يصد هذا العقد من مزاولة أي نشاط تابع لها ، دون إذن أو ترخيص منه ، كما يسمح نظام الالتزام للملتزم أن يختار من يرتضي من النواب يمثلونه إذا كان نشاط اللزمة يمتد إلى عدة جهات في دواخل البلاد مثل لرزمة الدخان ولزمة دار الجلد[1]

إنخرط اليهود في نظام الإلتزام:

نظام الإلتزام كما عرفناه سابقا هو نظام منتفح على كل أصحاب الأموال دون تمييز وبين أو عرقي أي أنه لم يكن حكرا على الرعية المسلمة ، لذلك لا يمكن تجاهل مساهمة 2 أهل الذمة 3 او أهل الكتاب4 ودورهم في هذا الميدان خاصة اليهود منهم ، وبقد إنفتاح هذا النظام الذي بإمكانه أن ييسر علمية إنصهار الأقلية اليهودية داخل المجتمع الإسلامي5 ، خاصة في ظل التسامح الذي لاقاه اليهود في العالم الإسلامي 6 ويبدو أنه مع مطلع القرن الثامن عشر بدأت تنضج معالم نظام الإلتزام وصفات المنضوين تحته ومدى مساهمة النخب اليهودية في هذا النظام ، وكان ذلك عبر 3 مراحل مختلفة .

---

[1]– رضا بن رجب، المرجع السباق، ص 122، 123 .

[2]– نفسه، ص 161 .

[3]– ماجد بن صالح المضيان، **أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة من (1520 – 1924)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،، جامعة** أم القرى، بمكة المكرمة، 1990 م 1416 هـــ، ص 14 .

[4]– الشهر ستاني، الملل والنحل، تح أمير على مهنا وعلي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة للنشر والتوزعي بيروت، 1993، ص 247 .

[5]– خيرية قاسمية، المرجع السباق، ص 303 .

[6]– هدى درويش ، **العلاقات التركية اليهودية**، ج1، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، 2002 .

المرحلة الأولى:

إمتدت من أواسط القرن 18 م إلى ثلاثينيات القرن 19 م وإتسمت خلالها مشاركة الأقلية اليهودية بتداول فئة من تجارها على عدة لزم منها: لزمة جزية يهود تونس لزمة جزية جزيرة يهود جربة، لزمة جلدا الذئب لزمة حانوت الصرمة، الزمة حانوت القزاز، لرزمة الحانوت، لزمة خيط الفضة لزمة دار الجلود لزمة الصناعة....الخ. فمشاركة المتلازمين من اليهود لم تتعد 12 لزمة في حين التزم المطروحة في الساحة التجارية لأسالة فاقت التسعين لزمة في ق 18 .

وتتخلل هذه المرحلة حدث هام في تاريخ إنخراط التجار اليهود في نظام الإلتزام وانفصالهم نهائيا في براية ق 19 عن العمل بلزمة دار الجلد[1].

المرحلة الثانية:

تزامنت هذه المرحلة مع تطبيق نظام المحصولات على كامل أسواق الإيالة وتعميمه ، وتواصلت إلى مابعد إدماجه في صلب نظام الإلتزام في عهد أحمد باشا باي إلى حدود 1844 ، وقد إتسمت مشاركة النخب اليهودية بالتراجع ، ففي بداية أربعينات القرن " 19م " لم يشرفوا إلا على سبع لزم مثل: لزمة خيط الفضة 2 ، ولزمة خلق الوادي.3

وما يمكن ملاحظة في هذه المرحلة مقارنة بالمرحلة الأولى هو تواصل إقتنائهم لبعض اللزمة التي أشرفوا عليها سابقا وهو احتمال ثبات وجود هم فيها، لكن مشاركة النخب اليهودية في هذه المرحلة محدودة جدا

المرحلة الثالثة:

لم تدم فترة تدني مشاركة اليهود طويلا، كما لم تتواصل فترة وقفتهم عن بعد إذ سرعان ما تمت عودتهم بقوة لغزو سوق الالتزام، لكن بعد أن طرأت على هذه المرحلة بعض الأحداث هيأت لهم الأرضية ومنحت لهم فرصا لامثيل لها غير أن المنافسات تتشكل سد منبعا أمام انخراطهم في بعض اللزم الهامة المرتبطة بقطاعي التصدير والتزويد المتواجدة بكل من المهدية ميناء قابس* وصفاقس* وجربة، لكن مع بداية سنة 1844 استطاعت

---

[1]– رضا رجب، المرجع السابق، ص 172.

[2]– نفسه، ص 173.

[3]– محمد الهادي شريف، **تاريخ تونس**، تع :محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1993، ص 65.

بعض العناصر من النخب اليهودية المحلية الإشراف على لزمة جمرك السلعة وتوابعه بالحاضرة.

وتناولت عليها أسماء في أربعينيات القرن التاسع عشرا تميز أصحابها بنفوذهم من أمثال[1] محمد الأصرم* وحمدة الشباب*، كما مكن غياب المنافسة النخب اليهودية من الإنخراط لأول مرة في سلك لزم ذات مردودية مالية هامة للمخزن مثل: لزمة الصابون، ولزمة الملح ..الخ، فأيدوا أن المناخ الباعث على الاطمئنان له تأثير على توجه بعضهم للإنخراط في ميدان الالتزام الريفي والتوغل داخل البلاد لاستثمار أموالهم بعد أن كان هذا القطاع حكرا على الملتزمين المسلمين، فضلا على انه كان يحظى باهتمام بالغ الأهمية لدى الأوساط المخزنية بما أنه يمنح للمنخرطين فيه رفعة وجاه ويفسح أمامهم المجال ليمارسوا نفوذهم.[2]

---

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص ص 176–177.

* محمد الأصرم: هو ابن أحمد باش اباي ويقول بشأنه ابن أبي الضياف وقربه أي أحمد باشا باي وفتح أذنه لتدبيره واستعان برأيه في سائر أمور الدولة، أنظر أحمد ابن أبي الضياف، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، م4، ج8، الدار العربية للكتاب، . د م.ن، د.ت، ص21 .

* حمدة الشباب: هو أبو عبد الله محمدو يدعى حمدة بن علي الشباب، ارتبط مع أحمد باشا باي بعلاقة حميمية وتمكن في عهده من إلتزام لزم هامة مثل لزمة العسكر ولمزة الصابون ...الخ، أنظر أحمد ابن أبي الضياف، الاتحاف :ج8، المصدر السابق، ص 65.

[2] رضا رجب، المرجع السابق، ص 177.

المبحث الثالث: لزم تجار اليهود.

- **لزمة دار الجلد:**

إن لزمة دار الجلد هي من أهم اللزم التي أفرزها نظام الالتزام، إذ لم تضاهيها لزمة على امتداد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، على مستوى السعر وعلى مستوى الرواج واكتساح السوق، وكان اسهامها هاما في تنشيط قطاع التجارة الخارجية عبر تصدير مادتها، كما أنها من أشهر اللزم التي أشرفت عليها النخب اليهودية.

أ/ مفهوم لزمة الجلد:

بالنسبة لمفهوم لزمة الجلد نأخذ تعريف "أحمد بن أبي الضياف" بالرغم من أنه تعريف بسيط إلا أنه واف، فهو يقول في ذلك: (...ومحصّل هذه الوظيفة أن سائر جلد البقر بالمملكة تأخذه الدولة من الجزارين وغيرهم بتافه لا عبرة فيه، وكأنه في مقابل زكاة البقرة، ثم يدبغ بدار الجلد ويباع لأهل صناعته بالمزايدة في مجتمع بالحاضرة يعرف بحلقة النعال، ويباع منه ما زاد على احتياج المملكة لخارجها، ولا يتصرف في ذلك غير من يلزمه من الدولة، ومن توابع هذا الوظيف عصر العسل بمعصرة دار الجلد وتأخذ الدولة الشمع...).[1]

إن المتأمل في هذا التعريف يلحظ اتصاله بنقاط خمس:

أولهما: أن لزمة دار الجلد هي من عداد الوظائف.

ثانيها: أن الجلد هو احتكار من احتكارات الدولة تقتنيه بأبخس الأثمان.

ثالثهما: تغطية طلبات السوق المحلية بمادة الجلد والفائض عن الإنتاج يقع تصديره إلى خارج البلاد، ولا شك أن ثمنه سيتضاعف مرارا بعد تحويله من مادة طبيعية إلى مادة شبه صناعية عن طريق عمليات تقنية تنطلق من الغسل لتنتهي بالدبغ.

رابعها: عصر العسل وهي مادة قيمة جدا نظرا إلى إنتاجها الغزير[2]، إذا كانت... تخرج منها القناطير المقنطرة ...[3]، ونظرا إلى استهلاكها غذاء واستعمالها دواء، فإن سعرها لا ينفك عن الارتفاع.[4]

---

[1] أحمد ابن أبي الضياف، الاتحاف ،ج4، المصدر االسابق، ص 55.

[2] رضا رجب، المصدر السابق، ص 180.

[3] أحمد ابن أبي الضياف، الاتحاف ،ج4، االمصدر السابق، ص 56.

[4] رضا رجب، المرجع السابق، ص 181.

خامسها: ضع الشمع ويتم استخراج مادته مباشرة بعد عصر العسل وتتولى الدولة توزيعه بالبيع في الأسواق المحلية لحرفي تحويل الجلد، أو تصديره لمصانع الورق بأوروبا.[1].

وقد كانت هذه اللزمة بيد جماعة من اليهود البلاد، وليتها دامت بأيدهم إذا لم يفعلوا فعل هؤلاء المسلمين ولا ما يقرب منه، وأول من زاد على اليهود والتزمها بعدهم "أبو الربيع سليمان بالحاج" لكن على غير هذه الحالة الفظيعة التي كاد أن ينقطع بها العسل والشمع من تونس، وقد كانت تخرج القناطير المقنطرة منهما.[2]

حيث تحصل اليهود بتونس على لزمة الجلود واحتكروا تصديرها نحو ايطاليا.[3]، ولم يكن الاهتمام بهذه اللزمة فقط في العهد الحسيني بل كان منذ العهد الحفصي الحفصي، فبالرغم من تكاليفها الباهظة فإنها وجدت رواجا في الأسواق الحفصية،[4] حتى كادت العديد من الحرف لا تستغني عن هذه المادة، ومثلت بالنسبة إليها المادة الأولية المؤسسة لصناعتها مثل صناعة السروج، وصناعة البلغة وتجليد الكتب، إضافة إلى عدة أنواع من الألبسة.

حيث ركزت بعض الدراسات المتعلقة بالتاريخ الحفصي على أهمية الجلد ودوره في الحرف المحلية، لكن لم تشر إلى طرق الحصول عليه ولا إلى المشرفين على تحويله، إلا أن هذا الإشكال اتضح مع بداية القرن السابع عشر، إذ أصبح للجلد جمرك خاص به، يعنى بمراقبة مسالك التوزيع والتصدير تحت إشراف وكيل، حيث تدعمت تجارة الجلد مع اعتلاء حسين بن علي السلطة "1705" إذ اصبح لهذه المادة مؤسسة خاصة أطلق عليها اسم "دار الجلد".[5]

إن الولوج في مجال لزمة دار الجلد يتطلب خبرة واسعة، حيث أن هذا القطاع لا يكاد يخلو من منافسة شديدة، حيث أن مختلف فئات التجار الذين تعلقت همهم بالانخراط فيها.

---

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 181.

[2] أحمد ابن أبي الضياف، الاتحاف ،ج4، المصدر السابق، ص 56.

[3] لوسيت فالنسي، المصدر السابق، ص 97.

[4] روبال برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، تر: حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ص 222.

[5] رضا رجب، المرجع السابق، ص 182.

وضمن هؤلاء استطاع ثلة من التجار اليهود التمسك بها والانتماء إليها لفترات طويلة من هذا المنطلق يتضح الدور الذي شغله اليهود في مؤسسة دار الجلد، وفي صلب ما أطلق عليه اسم "شركة الجيورناطة".

- **الجيورناطة:**

تنحدر لفظة الجيورناطة من اللغة الإيطالية وتقابلها باللغة العربية "اليومية" أي هناك تحديد زمني مرتبط باليوم في بدئه وغيابه، ونفس هذه اللفظة الأجنبية ومعناها ما زالا متداولين في العامية التونسية إلى الآن، لكنهما مرتبطان بطبقة عمالية معينة ومتصلان أكثر بالأجر عن عمل ما، تضبطه الفترة الزمنية، وتتحكم في تحديد مبلغه مزاولة هذا العمالية يوم كامل فيما يتعلق بالفترة الزمنية لبحثنا، وعلى الصعيد التجاري ما يمكن أن نفهمه من خلال هذا المصطلح بالاستناد إلى بعض المصادر هو تداول بعض التجار المرتبطين فيما بينهم برأس مال موحد من جهوة، والتزامهم من جهة أخرى أمام السلطة التجارية بالإشراف على مادة الجلد كل حدى، حسب تعاقبهم عليها بالتناوب اليومي.

إلى هذا الحد يمكن إثبات مبدأين ارتكزت عليهما الجيورناطة، أولهما اشتراك هؤلاء التجار في رأس مال التزم الجلد، وتبعا له سيكون رأس المال هذا مقسما إلى أسهم أو حصص، سواء كانت متساوية أو غير متساوة، ثانيا هذين المبدأين يتمثل في أن طريقة العمل خضعت بدورها إلى تقسيم لكنه تقسيم زمني وفق عملية التداول أو التناوب.

نرجح تطبيق البعض من أسس هذا التنظيم بالإيالة التونسية إلى اليهود القرنين في ظل ما عرف بالجيورناطة، إذ يبدو أن من أسباب توحيدهم لأموالهم التوصل أولا وأساسا إلى الأرباح المتأكدة دون الاستثمار في مغامرات تجارية متعرضة بين الحيث والآخر إلى خطر الإفلاس، فتجارة الجلد التي جمعت بينهم كانت أرباحها مضمونة باعتبار أن البضاعة هامة جدا ومطلوبة.[1]

وبالرغم من إجماع عديد الدراسات على أن بعث الجيورناطة كان على يد يهود الطائفة القرنية، إلا أنه لا يمكن تجاهل الإطار العم للنشاط التجاري سواء بالإيالة أو بالمتوسط، لم تر مانعا من تطبيق طريقة العمل هذه، كما لم تتعرض لها، وقد يكون ذلك سعيا منها لمزيد ايقاد شرارة التنافس بين التجار حول تجارة الجلد، وكانت المنافسة على أشدها بين

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص ص 198–200.

اليهود الذين بسطوا سيطرتهم عليها خاصة سنة 1694، وهي السنة التي توفرت فيها كميات ضخمة من الجلد من جراء موجة البرد التي عبرت البلاد وأدت إلى إتلاف القطعان من جهة، وعدم استطاعة التجار الفرنسيين التوصل إلى نصيب يرضي طموحاتهم التجارية بحكم أن اقتناء الجلد لا يتم إلا عبر قنوات مجموعة "الجيورناطة" يبدو أن سيطرة يهود القرنة على اللزمة لم تتوقف عند هذا الحد بل توصلت إلى حدود عشرينيات القرن الثامن عشر، إذ مع نشأة مؤسسة دار الجلد، أحيلت لزمتها إلى أحد خواص حسين بن علي، علما أن منصب قيادة دار الجلد من المناصب التي يشغلها هذا الباي، مما يدل على معرفته بخصائص الاتجار في مادته، لكن رغم هذا التحول لم يتخل التجار اليهود عن ممارسة أنشطتهم التجارية في هذا القطاع إذ أن بعدهم عن اللزمة لم يفقدهم توازنهم كما لم يخل بتطبيق طرق عملهم وفق التنظيم المحكم للجيورناطة كما يدل استمرار يهود الطائفة القرنية في لزمة دار الجلد على عدم قدرة المخزن على الاستغناء عن خدماتهم وعدم وجود من يعوضهم أو يحل محلهم، أي اقتناع السلطة بفاعلية هؤلاء التجار وجدوهم في هذا الميدان الذي توطدت فيه أقدامهم بترسيخ تقاليد أربعينيات القرن الثامن عشر، وسيدوم تواجدهم به إلى بداية القرن التاسع عشر، لكن ليس على نفس النسق من التواصل بل ستتخلل هاذين التاريخين بعض التطورات التي تؤدي بأفول نجمهم ممهدة لتماويهم من أعلى قمته.[1]

لزم التجار اليهود:

2/ لزم الأنشطة الحرفية والتجارية والمالية:

- **لزمة جلد الذئب:**

لم ترتبط هذه اللزمة أساس باستغلال جلود الذئاب أو بالأحرى فروتها والاتجار فيها كما تشير إلى ذلك تسميتها بل ارتبطت بنوع آخر من جلود الحيوانات من نفس الفصيلة الكلبية وهو ابن آوى، والمتواجد بكثرة ببلدان شمال افريقيا عموما، والمتميز بجودة فروته وبهاء ألوانها المائلة إلى الذهبية، كما تعد من أهم اللزم التي أشرف عليها اليهود، خاصة

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص ص 200-203.

الفئة القرنية، كما تشير دفاتر ومداخيل الدولة إلى تواجد إلتزامها إلى نهاية العشرية الثانية من القرن 19م.[1]

- **لزمة خيط الفضة والصاغة:**

تعد صناعة خيوط المعادن الثمينة والمصنوعات المتنوعة[2] خاصة حرفة صياغة الفضة[3] من اقدم الحرف التي مارسها العديد من أفراد الأقلية اليهودية لثبوت عراقة أنشطتهم بها وتخصصهم واتقانهم لها صناعة وتجارة.[4]

وتستمد هذه اللزمة أهميتها من التحويل الكلي للدولة على المختصين من اليهود لمتابعة ومراقبة صناعة خيط الفضة لتحصيل عائداتها ومن خلال وثائق لزمة خيط الفضة يمكن ضبط آليات عملها التي تأسست على أنشطة ثلاثة كان أهمها وفي المرتبة الأولى صناعة خيط الفضة، تليها مراقبة جودة المعدن، ثم الأداءات الموظفة للبيع والشراء، لقد مثلت صناعة خيط الفضة أهم نشاط في اللزمة، وقد تم تحديد مجالاتها في بدايات النصف الثاني من القرن 19 وذلك بضبط قوانين لها لم يقع إحداثها في هذه الفترة بل ارتكز ترتيبها على ما جرت به العادة ومن ثم فإن هذا الترتيب لم يحظ بصناعة الخيط الفضي فحسب، بل شمل كذلك اللزمة.[5] التي كان معظم صاغتها من اليهود.[6]

- **لزمة الشريحة:**

برزت لزمة الشريحة على الساحة التجارية لنظام الالتزام في أواخر القرن 18م واهتمامنا بها ينطلق من انخراط تجار الأقلية اليهودية في نشاطها وتداولها بصفة منتظمة لمدة طويلة ويتخذ التعريف بهذه اللزمة مستويين الأول متداول ونستمده من التسمية في حد ذاتها، أما الثاني فهو شامل ونستخلصه مما احتوت عليه، ففي المستوى الأول تحيلنا تسميتها على تخصصها في الإشراف على مراقبة أداءات نوع وحيد من المشروبات

---

[1] رضا بن رجب، المرجع السابق، ص 219.

[2] حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 395.

[3] عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700–1830)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2000–2001، ص 303.

[4] المقدس أبو عبد الله، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص ص 183–185.

[5] رضا رجب، المرجع السابق، ص 249.

[6] حسن الوزان، المصدر السابق، ص 283.

المسكرة وهو الذي يستخرج من ثمار الشريحة التين المجفف[1] لصناعة الخمر[2] إذن ليست لزمة الشريحة إلا لزمة الخمر التي برزت ويبدو أن تسمية هذه اللزمة عموما قد خضعت بدورها إلى سياسة البايات مثل صناعة الخمر والاتجار فيه أو ظاهرة استهلاكه متخذة عدة قرارات مثل تحريمها ومنها[3]، فلقد حرمت صناعة الخمر على المسلمين واحتكرها اليهود فقد[4]، لذلك نجد أن أغلب بايات قد تشابهت أوامرهم في تصديهم للظاهرة فقد تقاربت موافقتهم إزاء حظر الخمرة عموما[5] لكن بالرغم من هذا التوجه لمنعها كان للخمرة حضورا واستهلاكا وبيعا وشراء[6] لأنها في ديار المسلمين والنصارى وفي ديار المسلمين تعصر وتستقطر.[7]

- **لزمة جزية اليهود:**

نتطرق هنا إلى للجزية لا كضريبة سنها الشرع الإسلامي[8] بل كأداة جبائر تم تصنيفه كالزمة مالية، أي من خلال علاقتها بنظام الالتزام وبالدورة الاقتصادية للبلاد، كما أنها لزمة من نوع خاص، فهي غير خاضعة لا إلى عرض السوق ولا إلى طلبه، شأن اللزم الأخرى، كما أن سعرها لا يخضع إلى عملية المزايدات التجارية، فهو في كل الحالات يحدد من قبل السلطة سواء كان هذا المبلغ جزافيا أو تبعا لعملية حسابية خاضعة للعدد الإجمالي لأفراد القلية اليهودية القادرين على دفع هذه الضريبة شرعا،كما أن جبايتها لم يكونوا اطلاقا لزامة بل أعوان لدى المخزن وله ضلع في تعيينهم أو تكليفهم بهذه المهمة، وإن إجراءات الجزية تميزت بميزة هامة جدا لابد من التوقف عندها وهي تحويل مبالغها النقدية مباشرة إلى رواتب الفقهاء والمفتين ومشايخ تدريس القرآن بالجوامع، وقد

---

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 249.

[2] زكي شنودة، المرجع السابق، ص 509.

[3] رضا رجب، المرجع السابق، ص 251.

[4] عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص98.

[5] المسعودي الباجي، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، ط2، مطبعة بيكار للنشر والتوزيع، تونس، 1323، ص 127. 127.

[6] رضا رجب، المرجع السابق، ص 252.

[7] ابن أبي الضياف، **الاتحاف**، ج 3، المصدر السابق، ص 93.

[8] عطا علي شحاتة رية، المرجع السابق، ص 173.

انحصرت هذه الرواتب بين 6 نواصر و45 ناصريا يوميا في أواسط القرن 18 م ولم تتجاوز 23 ريالا في الشهر خلال عشرينيات ق 18م.[1]

ولم يقتصر هذا الإجراء لزمة جزية يهود تونس فحسب بل شمل كذلك لزمة جزية يهود جربة التي تصرف لرجال الدين وفق نفس القاعدة أي كل حسب رتبة، وشمل هذا الإجراء كل الأماكن التي تواجد بها اليهود في البلاد ورفعت منهم الجزية[2]، مثل القيروان[3] وتواصل العمل بهذه الإجراءات من قبل محمد باي (1855–1859) وتعويضها بمال الإعانة التي رفضت على كل الرعايا مسلمين ويهودا على حد سواء[4]، ولا ريب أن في هذا التقنين لمداخيل الجزية وحصرها له أبعاد اجتماعية ودينية بالغة الأثر، فالجزية لغة واصطلاحا من الجزاء والجزاء يكون عقابا كما يكون ثوابا[5]، فهو إذن جزاء على إصرار إصرار اليهود على بقاء دينهم وعدم اعتناقهم الإسلام فاعتبروا كفارا من المنظور الإسلامي ويوجب أخذ الجزية منهم إذلالا لهم[6]

المبحث الرابع: الأثار السلبية الوجود اليهودي في تونس

سياسيا وعسكريا:

دخول اليهود للوظائف الحكومية:

بدأ دخول اليهود للوظائف الهامة في تونس منذ عهد حمودة باشا، وكان دخولهم منذ ذلك الوقت، في المراكز الإدارية، ثم استمرت هذه السياسة في عهود البايات اللاحقين وفي عهد الصادق باي، بحكم ظهور القوانين ومنح المساوة للمواطنين في تونس ازداد عدد الداخلين منهم في الوظائف المالية والتجارية والطبية، بالإضافة إلى عدد اليهود التونسيين وفدت على تونس في منتصف القرن 19 أعداد أخرى من يهود أوربا خاصة من

---

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص ص 263–266.

[2] نفسه، ص 267.

[3] أبو عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.ن، ص 17.

[4] أحمد بن أبي الضياف، الاتحاف ،ج4، المصدر السابق، ص 259.

[5] ابن منظور **لسان العرب**، المجلد 14، دار صادر، 2003، ص 143.

[6] استنادا إلى القرآن الكريم، سورة التوبة الآية 29، "حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". وفي تفسير ابن كثير لقوله تعالى: "حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" أي إن لم يسلموا عن يد أي قهر لهم وغلبة وهم صاغرون أي ذليلون حقيرون. أنظر: ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، تح: مصطفى السيد محمد وآخرون، م7، ط1، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع، د.ب.ن، 2000م.

مدينة القرنة بإيطاليا، لعبوا دورا هاما في دواوين الدولة والوزارات وبذلك أصبح عدد الجالية الاسرائيلية في تونس سنة 1860حوالي 20الف نسمة وتبعا لتعدد الجنسيات اليهود فإن وظائفهم أيضا كانت متنوعة طبقا لثقافتهم فكان منهم الأطباء والصيادلة والصيارفة والوسطاء والمرجمين وأصحاب المهن المالية وسيطر بعضهم على التجارة مع مرسيليا وجنوب ودخل معظمهم تحق حماية الدول الاوربيةوقد ازدادثراؤهم في ظلالفوضى المالية في تونس والتي لهم دوربارز فيها حتى ان حكومة الصادق باي كانت تلجأ إلى أثرياءهمفي ازماتها المالية خاصة قبل أن تبدأفتح القروض من البنوك الأجنبية والتي كانت هي الأخرى عن طريقهم.

تغلغل اليهود في الوظائف المالية للدولة: كان غياب محمود بن عياد متصرف المالية في تونس في عهد احمد باي الذي هرب إلى فرنسابأموال الدولة نقطة البداية لعبور اليهود إلى أعلى منصب مالي في الدولة وأول من اسند اليه ذلك المنصب مدخلا للعديد من افراد اسرته وغيرهم من اليهود وللعمل في قباضات الدولة بالوزاراتالمختلفة، نذكر منهم الأسماء التي لمعت أكثر من غيرها في هذا الميدان[1].

- لياه شمامة قابض وزارة البحر.
- يشتى شمامة قابض وزارة المال.
- شالوم شمامة قابض دار الجلد ثم رئيس.
- هود شمامة قابض وزارة المال.
- موشى بنمردخاي شمامة
- رفائيل بن الياه شمامة قابض المال
- شالوم بن يوسف شمامة
- موشي بن شالوم شمامة
- إسرائيل خياط قابض أيضا
- القائد ناتان شمامة .

[1]عبد الجليل التميمي، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859-1882**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات كلية الادب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس،1995، ص174-175.

ومن خلال القائمة الطويلة من أسماء اليهود نلاحظ مدى سيطرة اليهود فعلا وخاصة عائلة شمامة، على مالية البلاد ومن الملفت للنظر كثرة افراد هذه الاسرة واحتكارها لتلك المناصب الهامة حتى كأنها أصبحت ارثا خاصا بهم دون غيرهم وهذا في رأينا ليس أمر عفويا وكانت الدولة تنعم علىهؤلاء القباض بالأوسمة من الأصناف المختلفة اكراما لهم نظر لخدماتهم سواء كانوا تجارا أو تولوا مناصبمالية في الدولة خاصة عائلة شمامة والصباغة الصباغة .

تأثير اليهود على الجيش: كان على راس القباض اليهود مدير المال والذي هو يهودي أيضا تحت امرة وزير المال ينفذ أوامره وأومر الوزارة الكبرى وقد برز تأثير اليهود في أوضاع الجيش المادية عبر ثلاثة طرق:

الطريق الأول: يتمثل في مماطلة مدير المال وقباض وزراتي الحرب والبحر لدفع ما يستحقه افراد الجيش من المرتبات والمؤونة والباس وما صاحب ذلك من التسليح والتجهيز في الوقت المناسب فهم المسؤولون مباشرة عن تزويد الجيش بما يخصه من هذه المصاريف وتدل رسائل وزراء الحرب وامراء الجيش عن قلق كبير من تصرفاتهم وتثير اليهم بكل بالاتهام والمسؤولية في كل ما يحدث من إهمال الجيش.[1]

مثال على ذلك تسلم امير تسليم امير امراء الطبحية اشتكى إلى وزير الحرب من القابض شلومو شمامة، الذي بقيت لديه بعض الطلبات وما ظل في دفعها ويتضح من وعندما ما طلب منه المحاسبة لم يرد على طلبة ويتضح من هذا أن أمير الطبجية يشك في نزاهية واشتكي سليم أيضا من قابض وزارة الحرب لأنه ادعى ضياع تذكرة مالية مقدارها 4162 ريال ثمن مؤونة الطبجية بياجه .

اما الشكل الثاني من تأثير اليهود في ميزانية الجيش هو الأموال التي هربها اليهود والقباض انفسهم من ذلك ماهريه نسيم شمامة المتقدم الذكر ابن أخيه شالوم شمامة والغريب ان تذكرالصرف كانت تصدر من الوزارة الكبرى ولكنالقباض لايصرفوها في وقتها بحجة فراغا للخزينة وهو الامر الذي كان يثير غضب الجنود والضباط وقد يكون انفسهم فالقائد يشتم شمامة مدير المال الم يكن حين دخل العمل الوظيفي صاحب ثروة ولكنه في اقل من 10سنوات جمع ثروة كبيرة قدرت بـــ20مليونريال حتى ان قضيت تعقدت

[1] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص176.

اكثر من قضية بن عباد وكلفت 27 مليون ريال حتى ان قضيت تعقدت اكثر من قضية بن عياد وكلفت الدولة الحكومة بـــ28% من التركة.

اماالشكل الثالث من التأثير اليهودي في وضع الجيش فهو مشاركتهم في التحيل والسماسرة مع دور السلاح وبنوك المال المقترضة وقد ازدادعدد السماسرة والمحتالين من اليهود وغيرهم في وزارة الوزير الأكبر مصطفى بن إسماعيل اذجلب اليه قصدا من يساعده على التدليس ؤوالتزييف من ذلك،أن يهوديا من قرنة يدعي نيوفولتير ايشتعل سمسارا وكان نائبا لابن إسماعيل وعرف بترويج العملة المزيفة تحت حمايته وكذلك يوسف ولد عزيزة يهودي اخر كان يقوم بمعظم عمليات التدليس في الدفاتر والوثائق إبدال المصوغ والمجوهرات تحت حماية الوزير المذكور والاخوان ليفي موسى ويوسف سيطر على زياتين الساحل وهما من جبل طارق تحت حماية بريطانيا[1].

وهكذا نلاحظ من هذا ان تحكم اليهود في المنافذ المالية الدولة ككل ولجيش بصورة وخاصة عن طريق القباض او المزودين كان تحكما كاملا كما اتضح من شكوى الضباط والوزراء حيث كانت طلباتهم تحت رحمة القباض المذكورين الذين وجدوا الفرص ملائمة خلال وزارتي مصطفى خزنة دار مصطفى بن إسماعيل وبذلك كانت الدولة كلها ومعرفة مستوى مخصصات الجنود المالية سوءالوضع المادي الفراد الجيش والذي تجلى بالخصوص في تأخير الرواتب وانعدام اللباس ورداءة المؤونة وقلة العناية الصحية وما نتجعن ذلك هروب الجنود من الثكنات وتهور حالة الضباط وكان وراء ذلك كله أصابع اليهود البارزة والخفية التي امسكت بالإدارة المالية في تونس خلال عهد الصادق باي [2].

[1] عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص177–178.

[2] نفسه ص178.

المبحث الرابع: الاثار السلبية لليهود اقتصاديا واجتماعيا

لقد شهدت مدينة تونس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تطورا خصوصيا قلب الموازين التقليدية المتعارفعليها فضائها الحضري [1].

فقد مثل القرن الثامن عشر بالنسبة إلى مدينة تونس مرحلة ازدهار ملحوظ بارتباط مع النشاط التجاري المتوسط الذي جعلها تلقب"بشنغاي المتوسط" غير أن تلك الحركة الاقتصادية التي تزامنت مع تطور ديمغرافيا ايجابي بفعل قلة الاوبئة فتحت المدينة لهجرات بشرية داخلية وخارجية فعوامل الازدهار جعلت منها مركزا استقطاب بشري خارجي وداخلي فتضخمت الجاليات الاوربية المتوسطة ايطاليا، يهود القرنة ملطين وتكاثر عدد الوافدين على المدينة من المناطق الداخلية وانعكس ذلك الوضع سلبا على المدينة خلال القرن التاسع عشر ومع تغير الظرفية فعادات الأوبئة الفتاكة الدورية، منذ القرن التاسع عشر، وتدهورت الأوضاع التجارية، وأصبحت المدينة تشكو حالة من التشيع بصفة لم يعد بالإمكان المحافظة معها التوازنات القديمة، ومع منتصف القرن التاسع عشر بدأت تظهر النتائج الملموسة لذلك التطور الجديد.

فلم تعد الجالية اليهودية قادرة على البقاء داخل حيها المكتظ وأصبحت المدينة في حالة فوضى يصعب التحكم فيها بحيث كان لليهود دور كبير في الفتن والاضطرابات نتيجة للغش الذي اتسم به اليهود سواء في الصناعة او في التجارة مما جعلهم طائفة منبذة داخل المجتمع كما أنه لم يكن لليهودي دور كبير في حركة الإنتاج لأن هدفه هو تحويل مدخراته إلى النوع السائل الذي يسهل حمله من بلد إلى بلد، فكل ذلك جعل اليهود على هامش المجتمع وأعطى لهم نوعا من الاستقلال مما دعم فكرة العنصرية والانعزال داخل الأحياء التي كانوا يسكنونها رغم إعطائهم الحرية في كافة تحركاتهم داخليا وخارجيا،إضافة إلى هذه السلبيات فنحد أن اليهود قد مارسوا عدة انواع من المعاملات الغير شرعية[2]، التي عادت عليهم بالمكاسب والأرباح الطائلة[3]، ورغم هذا الثراء إلا أنهم لم يوفروا الأمن للبلاد[4].

---

[1] دلندة الارقش وآخرون، المرجع السابق، ص216.

[2]– نفسه، ص 217 .

[3] – عطاء علي محمد شحاتة رية، المرجع السابق، ص ص 218–219 .

[4] صموئيل أنتيجر، المرجع السابق، ص 283.

وبذلك إستغل اليهود الظروف الداخلية والخرية للمنطقة المغاربية في تحويل أموال تجارة إلى جيوبهم مع بداية القرن 19م، ففي تونس تم تأسيس شركة تضمن يهو د قرنة عرفت باسم " شركة اليوم"[1] مشتغلين حروب الثورة الفرنسية، وحاجة أوروبا إلى القمح، انطلاقا من عملاء الجهود المنتشرين في البلاد بحثنا عن القوافل الحاملة للقمح وطلبا للمال[2].

وعرفوا في تونس إسم "الكيالة" و"الجلابة" الذي كانوا يجوبون البلاد لجمع القمح وبيعه لهذه الشركات اليهودية[3].

[1] – إبراهيم بن جمعة بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 106–107.

[2] أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)** ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص157 .

[3]– بايسونال، المصدر السابق، ص 62.

الخاتمـــــــة

الخاتمة :

من خلال ما سبق نستنتج :

– لقد تواجد اليهود في بلاد المغرب وتمركزوا في العديد من مناطقه وجهاته المختلفة فنكاد نجدهم يتواجدون في كل بقعة منه، مفضلين بذلك مدن دون سواها لممارسة نشاطاتهم المختلفة .

– تعد تونس من أهم المدن التي استيقطبت العديد من اليهود الفارين من الاضطهاد الذي لا قونه في أوربا ثم استطاعت العيش في المنطقة مثل بقية العناصر الأخرى .

– وجدت في تونس العثمانية ثلاث مجموعات متميزة انقسمت حسب المنبت القطري لكل منهما إذ نجد يهود ليفورنوا ، ويهود القرنة , ويهود التوانسة .

– من خلال الأدوار الإقتصادية والإجتماعية لنخب الاقلية اليهودية بإيالة تونس في الفترة الحديثة فإن هذه الاقلية تعتبر من أقدم الأقليات تركزا وتمكنت من تجاوز وضعها القانوني الذي طوقته جملة من القيود الدينية والإجتماعية في صلب مجتمع الأغلبية.

– تميز نشاط التجار اليهود بالتنوع مما حفزهم على منافسة نظرائهم من أفراد الجاليات الأخرى والتقدم عليهم في كثرة من الأحيان .

– يعتبر الإنخراط في نظام الإلتزام والإستثمار في قطاع التجارة البحرية من أهم الموارد المالية للمخزن، كما أنها كشفت عن تفوق اليهود المتواصل والمستمر في هذا المجال .

– نلاحظ من الأنشطة التي قام بها اليهود أن هناك توزيع أدوار أو إقتسامها بين النخب التجارية اليهودية عامة ويبدو أن هذا التوزيع مفعلا أو مخططا له ، بقدر ما كان مستمدا من طبيعة كل طائفة وتقاليدها .

– اهتم يهود التونسية ببعض حقول نظام الالتزام والاشراف على ايرادات المخزن منها ،بينما وجهت النخب القرنية وبعض العناصر الأخرى من اليهود الأوربيين استثماراتهم صوب المرافق التجارية البحرية .

– يعتبر يهود التونسية من أقدم المجموعات اليهودية تركزا بالبلاد ومن أكثر العناصر تأقلما مع المجتمع المحلي واندماجا فمن البدهي أن تستهويهم الأسواق المحلية ويشدهم العمل ببضائعها والاستثمار فيها إلا أن هذا لم يمنعهم من ممارسة التجارة البحرية.

– توجهت النخب التجارية القرنية إلى الساحة التجارية بالإيالة مع مطلع ق 17م وركزت أغلب استثماراتهم بقطاع التجارة البحرية .

– أمنت الكثير من الموانئ المحلية لليهود عدة استثمارات في ميدان فدية اسرى القرصنة وتحريرهم كما يسرت لهم نشاطاتهم التبادل السلعي مع البلدان الأوربية بحكم مواقعها القريبة من أهم المراكز التجارية بالمتوسط.

– تعتبر مؤسسة دار الجلد هي المؤسسة المخزنة الوحيدة في تلك الفترة التي كانت علاقتها وطيدة بقطاعي التصدير والتوريد لذلك انتمت إليها مجموعة من النخب اليهودية .

– يعتبر نظام الالتزام وقطاع التجارة البحرية المجالين الواضحين اللذان تمكنا عبرهما من تتبع وضعية أصحاب الأموال والأعمال من اليهود داخل الأقلية اليهودية في مجتمع الإيالة ككل .

– خولنا الرصد الدقيق لمختلف أنشطة النخب اليهودية التمعن في حقيقة تطبيق قانون عهد الذمة ووضع الذميين داخل المجتمع الإسلامي .

– إن تأثيرات اليهود السلبية في عدة مجالات سياسا، وعسكريا إقتصاديا وإجتماعيا جعلت منهم عناصر دونية ومهمشة وغير فاعلة ومنبوذة وسط المجتمع التونسي.

– ونشر إلى تاريخ الجالية اليهودية في تونس العثمانية سواء في مسارها الاقتصادي او الاجتماعي بدأ يتجاوز القراءات الايدلوجية التي تنطلق من أفكار المسبقة والتصورات العقائدية .

– لم تكن الأقلية اليهودية في تونس متجانسة إقتصاديا وإجتماعيا لأن وضع أفرادها اتسم بالتبيان الواضح إلى حد التفاوت بين قمة ثرية وقاعدة فقيرة معدمة.

– استفادت النخب اليهودية من انفتاح الاقتصاد المحلي علي الرأس المالي الأوروبي و عرفت كيف تتكيف مع الظروف السياسية والاقتصادية بصفة خولتها لحماية نفسها من التقلبات المحلية وربط مصيرها بالقوى الصاعدة فصعدت معها.

الملاحق

الملحق رقم (01):

هجرة اليهود إلى البلاد التونسية بين القرن السادس عشر والتاسع عشر[1]

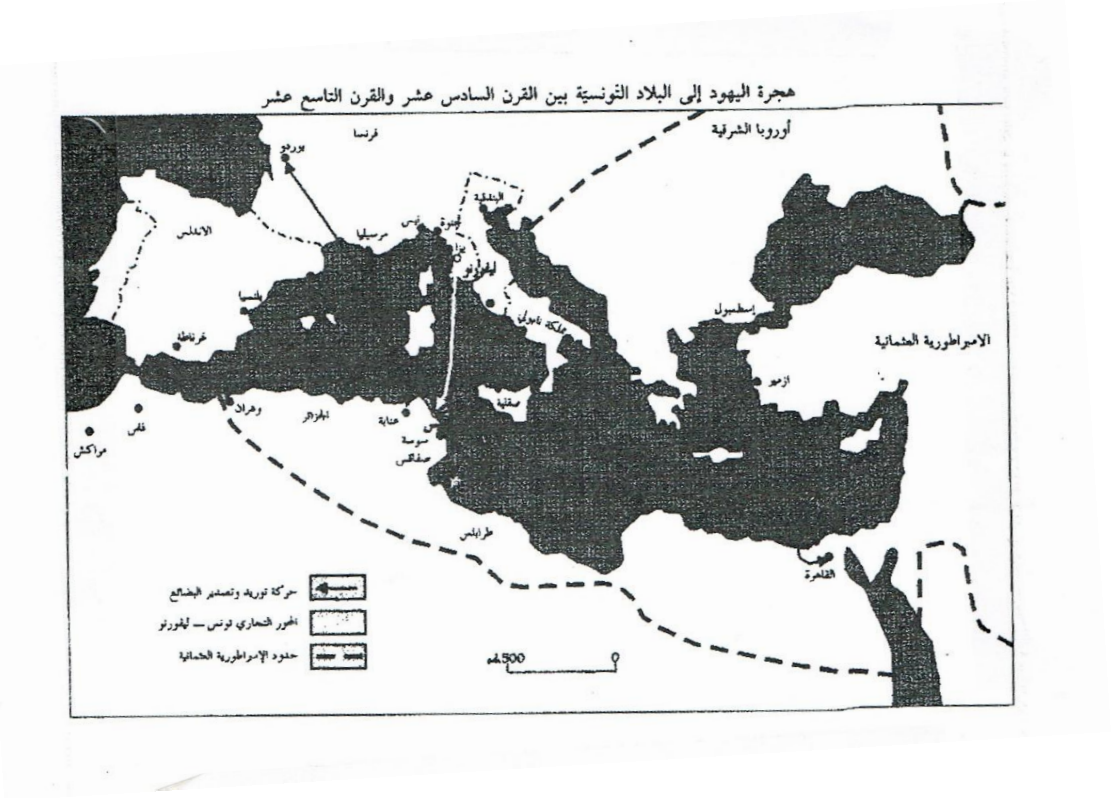

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 51.

الملحق رقم (02):

ما يميز به اهل الذمة.[1]

وسئل الإمام أبو عبد الله المازري [1] رحمه الله عن تغيير حالهم بما يظهرون به ويتميزون عن المسلمين، وهل يأمرهم القاضي بصبغ أطرافهم؟ ولو لم يفعل القاضي هل لمن قام به من المسلمين ممن ظاهر حاله الستر والتصون القيام بذلك أم لا؟ فأجاب: كون اليهود يكلفون تغيير أطرافهم أو اتخاذ علم يتميزون به، هذا مما فعل عندنا حديثا وقديما في الأمصار الكبار، وفيه تفصيل يطول القول فيه، انتهى.

قيل [2]فظاهرة أنه عام في الذكور والإناث. وقوله في الأمصار الكبار معناه حيث يكثر اللبس. وأما حيث تكون القرية لهم فظاهر كلامه أنه لا يحتاج إليه. والصواب أن لابد من تمييزهم مطلقا، لابد من مخالطتهم المسلمين لأنهم بين أظهرهم والله أعلم.

الونشريسي، المعيار، ج2، ص:259.

اليهودي إذا تزي بزي المسلمين:

وسئل بعضهم عن يهودي تشبه بزي المسلمين وأسقط حليته التي يعرف بها.

فأجاب: بأنه يعاقب بالسجن والضرب، فيطاف به في مواضع اليهود والنصارى ردعا لأمثاله وتشريدا لهم بسبب ما حل به. وقد كتب ابن أبي طالب [3] إلى بعض قضاته أن يلزم اليهود والنصارى أن تكون زنانيرهم عريضة في وجه الثوب ليعرف بها. فمن ركب النهي بعده ضرب عشرين سوطا مجردا ثم صير به إلى الحبس، فإن عاد ضرب ضربا موجعا وبالغ فيه وأطيل حبسه.

[1] مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي (من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين(، ط2، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 241.

الملحق رقم (03):

حكم معاملة اليهود[1]

وسئل [1] هل تجوز معاملة اليهود بالبيع والشراء منهم والاستدانة أو لا؟ فأجاب: إذا اشترى الرجل وباع من اليهود على ما يجوز شرعا ولا يعمل معه بربا ولا بوجه لا يسوغ في الشرع فذلك حلال طيب سائغ.

ذمي استظهر على مسلم برسوم وادعى المسلم قضاء ما فيها.

وسئل عن رجل من يهود الذمة استظهر على رجل من المسلمين بثلاثة رسوم أحدها لتاريخه خمسة عشر عاما، والرسمان لتاريخهما أحد عشر عاما وذكر أنه بقيت لهم من كل واحد منها بقية وطلبه بها فادعى المسلم المذكور أنه خلصه من الرسوم المذكورة فبينوا لنا هل يكون قول الغريم فيحلف أنه خلصه من مضمن الرسوم ويبرأ لطول المدة أو لا يلتفت إلى قوله إلا ببينة؟ والله يديم عافيتكم. فأجاب: من عادة اليهود لعنهم الله استحلال أموال المسلمين، وذلك عادة فيهم حتى ذكرتها الله عنهم[2][2]. والعادة أن أحدا لا يترك ما له عند غيره مدة طويلة فكيف بكافر مع مسلم، وقد قال الفقهاء أن من عرف بالتعدي والظلم فيغلب الحكم في حقه، فمن ادعى على من هذه حاله فيحلف هذا الطالب ويستحق ما طلب والعكس في هذه فكذلك يقضي في قضية اليهود أن يحلف المسلم أنه خلصه من ذلك الحق فإذا حلف سقط حق اليهودي.

[1] مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 242.

الملحق رقم (04):

إمرأة يهودية في بداية القرن العشرين[1]

[1] حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 607.

الملحق رقم (05):

عقد زواج[1]

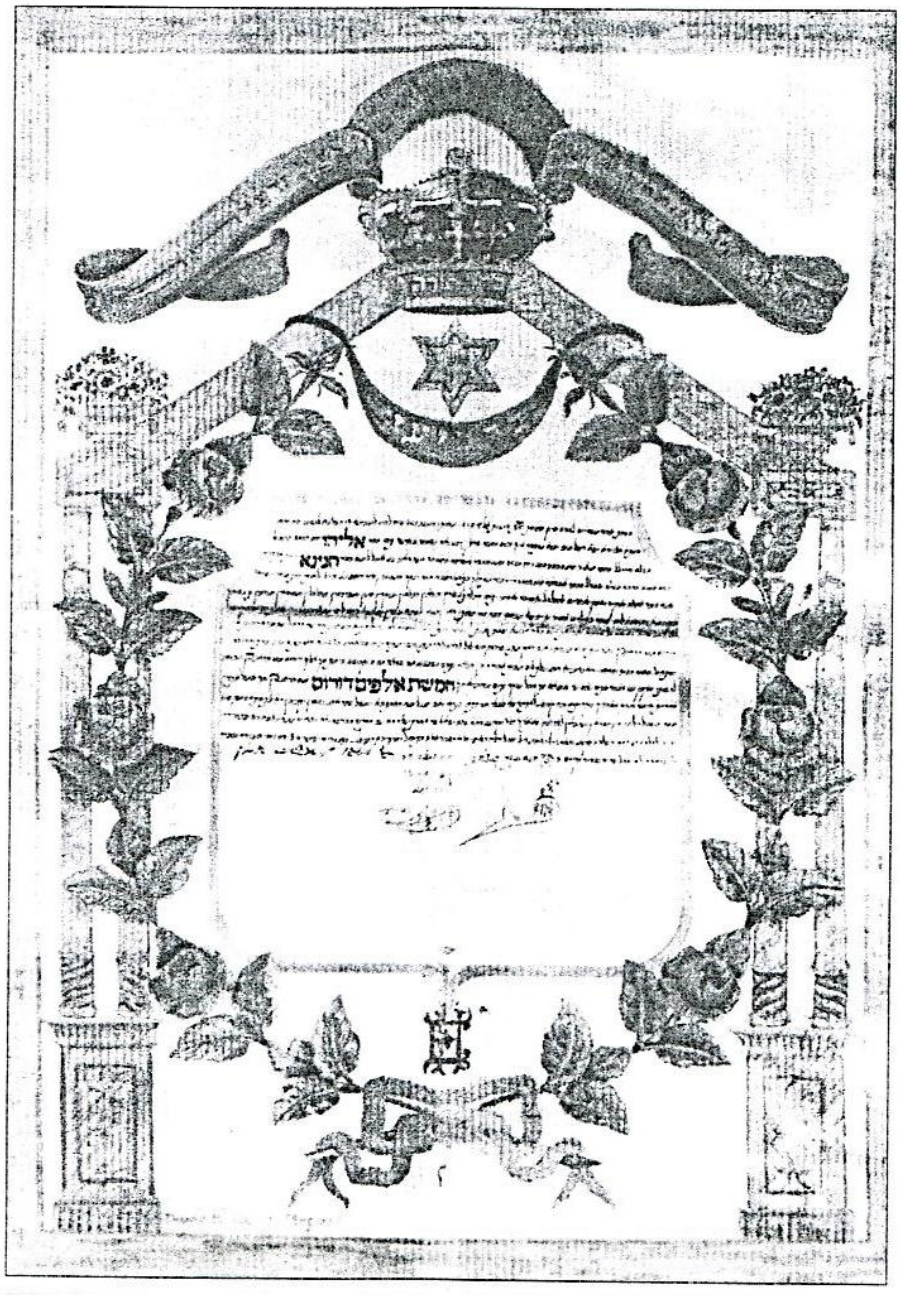

[1] حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 611.

الملحق رقم (06):

فضاءات التجارة البحرية لليهود بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر[1]

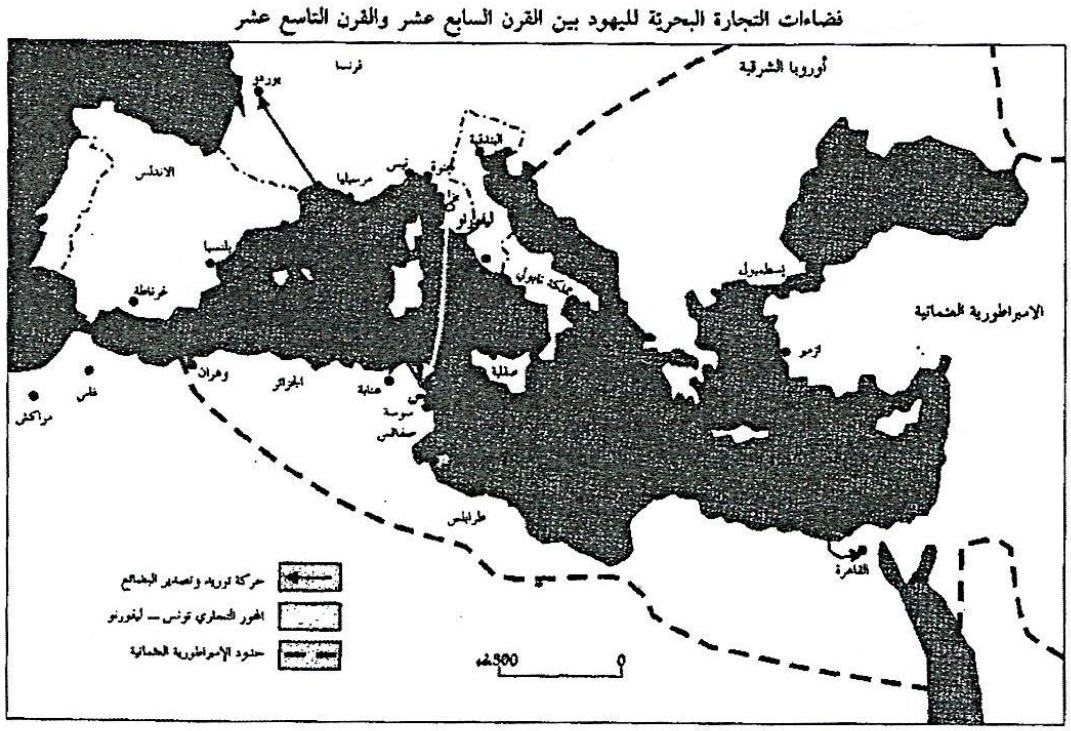

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 394.

الملحق رقم (07):

حرفي يهودي نحاس[1]

[1] حاييم الزعفراني، المرجع السابق، ص 610.

الملحق رقم (08):

تصدير القمح من الإيالة التونسية سنتي 1856-1858[1]

تصدير القمح من الإيالة التونسية بين سنتي 1856 و1858

البضاعة[65] / التجار	الكمية	الأداء	عدد العمليات	عدد التجار
تجار مسلمون	0	0	0	0
النسب المئوية	%0	%0	%0	%0
تجار أوروبيون	14,798	295,960	96	16
النسب المئوية	%39[66]	%39	%55	%47
تجار يهود	23,175	462,898	78	18
النسب المئوية	%61	%61	%45	%53
المجموع	37,943	758,860	174	34
النسب المئوية	%100	%100	%100	%100

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 335.

الملحق رقم (09):

تصدير الشعير من الإيالة التونسية بين سنتي 1856-1858[1]

تصدير الشّعير من الإيالة التّونسيّة بين سنتَي 1856 و1858

البضاعة[71] / التـجّـار	الكمـيّة	الأداء	عدد العمليّات	عدد المصدّرين
تجّار مسلمون	0	0	0	0
النّسب المئويّة	%0	%0	%0	%0
تجّار أوروبيون	8,755	87,550	39	14
النّسب المئويّة	%37,9[72]	%37,9	%39,8	%40
تجّار يهود	14,360	143,600	59	21
النّسب المئويّة	%62,1	%62,1	%60,2	%60
المجموع	23,115	231,150	98	35
النّسب المئويّة	%100	%100	%100	%100

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 337.

الملحق رقم (10):

تصدير الصابون من الإيالة التونسية بين سنتي 1813-1814.[1]

البضاعة / التجّار	الكمية(126)	الأداء(127)	عدد العمليات	عدد التجّار
تجّار مسلمون	2,309	6,927	14	7
النسب المئوية	%28,5	%28,5	%19,4	%18,4
تجّار أوروبيون	875	2,625	9	8
النسب المئوية	%10,8	%10,8	%12,5	%21
تجّار يهود	4,916	14,748	49	23
النسب المئوية	%60,7	%60,7	%68,1	%60,5
المجموع	8,100	24,300	72	38
النسب المئوية	%100	%100	%100	%100

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 356.

الملحق رقم (11):

تصدير الصابون من الإيالة التونسية بين سنتي 1856-1858[1]

البضاعة(129) / التجّار	الكمية	الأداء	عدد العمليات	عدد التجّار
تجّار مسلمون	25	187,5	1	1
النسب المئوية	%1	%1	%5	%9,1
تجّار أوروبيون	100	750	1	1

[1] رضا رجب، المرجع السابق، ص 356.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

1. سورة التوبة:الآية 9.

2. سورة التوبة:الآية 29.

أولا: المصادر بالعربية:

1. الأنصاري القرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ج8، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1939م.

2. الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، ط2، مطبعة بيكار للنشر والتوزيع، تونس، 1323ه.

3. الباروني يوسف بن أحمد، **جزيرة جربة في موكب التاريخ**، تح وإعداد: سعيد بن يوسف الباروني، جربة، 1998م.

4. بايسونال أندري، **الرحلة إلى تونس (1724)**، تر : محمد العربي النوسيني، مركز النشر الجامعي بتونس، 2004 م.

5. البكري أبو عبيد، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت.ن).

6. بن خلدون عبد الرحمان،، المقدمة، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

7. بن خوجة محمد، **صفحات من تاريخ تونس**، تح : ناجي الساحلي الجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

8. توللي ريتشارد، **عشر سنوات في بلاد طرابلس**، تع: عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني، ليبيا، (د.ت).

9. التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد أحمد، **رحلة التيجاني**، تق: حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1981م.

10. الجوزية ابن القيم، **أحكام أهل الذمة**، ج2، ط1، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995م.

11. الخامس محمد بيرم، **صفوة الاعتبار بمستود الأمصار والأقطار**، ج 2 . ط 1 المطبعة الإعلامية، مصر، 1302 ه.

12. الدباغ عبد الرحمان بن محمد الأنصاري، 696/605هـ تع : أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي التنوخي، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، (د. م. ن)، (د.ب.ن)،839هـ.

13. ديوارنت ول، **قمة الحضارة**، تر: محمد بدران، ج2. لجنة التأليف والترجمة والنشر، الاسكندرية، 2002م.

14. روسو ألفونسوا، **الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى الاحتلال فرنسا للجزائر**، تح : محمد عبد الكريم الوافي المكتبة الوطنية الجزائرية، بنغازي، (د.ت) .

15. الزمخشري جابر الله أبي القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج2، ط1، تح: الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، العبيكان للنشر، 1990م.

16. الشهر ستاني، **الملل والنحل**، تح: أمير على مهنا وعلي حسن فاعور، ط 3، دار المعرفة للنشر والتوزعي بيروت، 1993م .

17. الضياف أحمد ابن أبي، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، م4، ج8، الدار العربية للكتاب، (د.م.ن).،) .د.ت.).

18. الضياف أحمدبن أبي، **اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تح : لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، ج4، م2، الدار العربية للكتاب، تونس، (د.ت).

19. الطبري أبو جعفر، **تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك**، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).

20. الطبري أبو جعفر، **جامع البيان في تفسير القرآن**، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج10، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1422هـ 2001م.

21. فالنسي لوسيت، **المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر**، 1830/1790ـ تر: إلياس مرقص، ط1، دار الحقيقة، بيروت، 1980.

22. القلقشندي أبي العباس أحمد، **صبح الأعشى**،ج13، دار الكتب السلطانية، القاهرة، 1337هـ/1918م..

23. كاربخال مارمول، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي، ج2، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989، .

24. كاربخال مارمول، **وصف افريقيا**، تر: محمد حجي، ج3، دار المعرفة، الرباط، 1989، .

25. لبيض سالم، تاريخ شيه جزيرة جرجيس، من العصور القديمة إلى نهاية الاحتلال الفرنسي تق: نور الدين سريب، ط1، الشركة العامة للطباعة سوجبيم، (د.ب.ن)،2001م..

26. المبشر ايفالد، رحلة **المبشر ايفالد من تونس إلى طرابس في سنة 1835**، مرورا بسليمان ونابل والحمامات وسوسة المستتير والمهدية وقابس وجربة،تع منير الفندري،ط1،بيت الحكمة،قرطاج،1991.

27. المقري، **نفخ الطيب من عصن الأندلس الرطبيب**، تح : إحسان عباس، ج1، دار صادر، بيروت،1998.

28. ثانيا: المصادر الأجنبية:

29. grand champ Pierre, études historiques tunisienne-17-19emesiècle , presse niversitaire, France, .1966

30. Guillaume thomesRaynal,histoirephilosophique et politique des établissement et du commerce des européensdansl'Afriqueseptentrionale, 2T pierremannus, paris ,2005.

ثالثا: المراجع العربية:

31. أتينجر صموئيل، **يهود البلدان الإسلامية (1950/1850)**، تر:جمال أحمد الرفاعي، عالم المعرفة، مايو، 1995م.

32. أندريه ريمون، **المدن العربية الكبرة في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1991م.

33. بركات أسامة الدسوقي، **اليهود في ليبيا ودورهم من 1911 حتى 1951**، مكتبة الاسكندرية، (د.ب.ن) 2000م.

34. برنر سام، **لا يدرسونه لنا في بلاد العرب، اليهود في العرب عالم تم محوه وصفحات أزيلت من كتب التاريخ**،، م1، ج4، (د.ب.ن)، (د.ت).

35. برنشفيك روبال، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، تر: حمادي الساحلي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

36. بشير عبد الرحمان: **اليهود في المغرب العربي**، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، (د.ب.ن)، 2001م.

37. بن رجب رضا، **يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية**، 1685-1857، تق: عبد الرحمان الأرقش، ط1، دار المدار الاسلامي، ليبيا، 2010م.

38. التميمي عبد الجليل، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859-1882**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات كلية الادب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس،1995م.

39. الجميعي عبد المنعم إبراهيم، **الدولة العثمانية والمغرب العربي**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000م.

40. الحامد بنت معجب بن سعيد، **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (1256، 1326هـ/ 1840-1908م)**، دار الملك عبد العزيز، الرياض،2005م.

41. حسن محمد، **المدنية والبادية بإفريقية في العهد الحفصى**، ج2، (د.م.ن)، تونس، 1999م.

42. الخالدي صلاح عبد الفتاح، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن**، شركة الشهاب، الجزائر، 1987م.

43. درويش هدى، **العلاقات التركية اليهودية**، ج1، ط1، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق، 2002م.

44. درويش هدى، **العلاقات التركية اليهودية واثرها على البلاد العربية**، ج2،ط1، دار القلم، دمشق،2002م.

45. رشاد الإمام، **سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814م)**، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1979م.

46. الزعفراني حاييم، **يهود الأندلس والمغرب**، تر: أحمد شحلان، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2000م.

47. سالم محمد الحميدة، **الحروب الصليبية عهد الجهاد المبكر**، ج 2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1990م.

48. سعد الله أبو القاسم، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)** ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

49. سعيدوني ناصر الدين، **النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)**، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1985م.

50. شاكر أمين وآخرون، **شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر**، دار المعارف، مصر، (د.ت).

51. شحاته رية عطا الله على، **اليهود في بلاد المغرب الأقصى**، ط1، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق، 1999م.

52. شريف محمد الهادي، **تاريخ تونس**، تعريب محمد الشاوش، ط3، دار سراس للنشر والتوزيع، تونس، 1993م.

53. شنودة زكى، **المجتمع اليهودي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) .

54. ضياء محمد الرحمان الأعظمي، **دراسات في اليهود والمسيحية وأديان الهند**، مكتبة الرشد، الرياض، 2001م.

55. الطعامنة محمد محمود، سمير محمد عبد **الوهاب، الحكم المحلي في الوطن العربي واتجاهات التطوير**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، 2005م.

56. عبد السلام رشاد رمضان، **يهود مصر**، 1956/1922، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 2014م.

57. العقاد صلاح، المغرب **العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، تونس، المغرب، الأقصى**، ط6، مكتبة الأنجلو مصرية، (د.ب.ن)،، 1993م.

58. فليب كانت، **التجارة بين أوربا والبلدان الاسلامية في ظل الدولة العثمانية**، تع أيمن الارمنازي، ط1، مكتبة العيكان، الرياض،2004م.

59. قاسم قاسم عبده، **ماهية الحروب الصليبية**، عالم المعرفة، الكويت،1990 م.

60. قاسمية خيرية، **يهودالبلاد العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، (د.ت).

61. كوهين مارك، **بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى**، تق صادق جلال، تر: إسلام ديه معز، ط1، منشورات الجمل، بغداد، 2007م.

62. المقدسي أبو عبد الله، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة،1985.

63. نعمان ناجي، **المجموعات العرقية والمذهبية في العالم العربي**، دار النعمان للثقافة، بيروت، 1990م.

64. همو عبد المجيد، **الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات**، ط1، الأوائل للنشر التوزيع، سورية،2004م.

65. الوكيل محمد، **تاريخ اليهود**، ج1، دار النهضة العربية، القاهرة،2008م.

رابعا:المعاجم والقواميس:

66. إبن منظور، **لسان العرب**، مادة "لزم"، رقم 7995، مجلد 12.

67. ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد 14، الرقم 8909.

68. بطرس البساني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1983م.

رابعا: رسائل ومذكرات التخرج:

69. بن صحراوي كمال، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، معهد العلوم الانسانية والاجتماعية، معكسر، 2008/2007م.

70. سعيداني محفوظ، **الواقع الاقتصادي للمجتمعات المغاربية في العهد العثماني (مقاربة تحليلية)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2012/2011م.

71. الشيخ مليكة، **العلاقات السياسية و الاقتصادية بين تونس و فرنسا خلال القرن الثامن عشر**، إشراف بن خروف عمار، المركز الجامعي بغرداية،قسم التاريخ،2011-2012م.

72. طوبال نجوى، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر، 1830/1700 من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2004-2005م.

73. غطاس عائشة، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830)**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

74. قومي محمد، **دور الطائفة اليهودية بالتوات خلال القرنين، 9هـ/10هـ، 15م/16م**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، 2014/2013م.

75. مايدي كمال، **علاقات تونس مع الدول أوربا الغربية المتوسطة وتأثير البحرية فيها في عهد حمودة باشا من 1782-1814م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، المركز الجامعي بغرداية، قسم التاريخ، 2011-2012م.

76. المضيان ماجد بن صالح، **أثر أخل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة من (1520 – 1924)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، 1990 م 1416 هـ.

الفـــــهرس

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداءات	
مختصرات الرسالة	
مقدمة	أ–د
الفصل تمهيدي : نبذة تاريخية عن اليهود في تونس العثمانية	
المبحث الأول : هجرة اليهود إلى البلاد المغاربية	06
المبحث الثاني: هجرة اليهود إلى تونس	11
الفصل الأول : الدور الاجتماعي لليهود في تونس العثمانية	
المبحث الأول: أهم الفئات اليهودية بتونس	15
يهود ليفورنو	15
يهود القرنة	16
يهود التوانسة	16
المبحث الثاني: ديمغرافية المجتمع اليهودي بتونس	17
التوزيع الجغرافي للمجتمع اليهودي بتونس	17
الإطار السكني لليهود في تونس	20
الباس المميز لليهود بتونس	22
المبحث الثالث: العادات والتقاليد اليهودية بتونس	25
نظام الأسرة اليهودية	25
نظام الزواج	25
تعدد الزوجات	26
الأولاد	26
الطلاق	27

الفصل الثاني : الدور الاقتصادي في تونس	
المبحث الاول: مساهمة اليهود في لتجارة البحرية	30
فدية أسرى القرصنة	30
قطاع التصدير	32
بضائع التوريد	39
المبحث الثاني: اليهود ونظام الإلتزام بإيالة تونس	45
مفهوم نظام الالتزام	45
إنخراط اليهود في نظام الإلتزام	46
المبحث الثالث: لزم التجار اليهود	49
لزمة دار الجلد	49
لزمة الأنشطة الحرفية والتجارية والمالية	52
المبحث الرابع: الآثار السلبية للوجود اليهودي بتونس	56
سياسا وعسكريا	56
إقتصادياوإجتماعيا	59
الخاتمة	62
الملاحق	65
البيليوغرافيا	77